مجالس في العلم

تأليف

فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

مقدمة الناشر

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعدُ: فَقَد رَفَعَ اللهُ ﷻ شأنَ العِلْم وأهلِه، وبيَّن مكانتَهم، وعَظِيم قَدْرِهم، ورَفَع مَنزلتَهم؛ فقال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

ولم يأمر ﷻ نبيَّه ﷺ بالاستزادة من شيء إلَّا مِن العلم، حيث قال جَلَّ وعَلَا وتقدَّس: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

وما ذاك إلا لأهميَّة العِلم القُصْوىٰ في حياة البَشَر، فأهلُ العلم هُم الأحياء، وسَائر النَّاس أمواتٌ، **كَمَا قِيلَ**:

العِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ ... كَمَا يُجْلِي سوادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ

وكَمَا قِيلَ:

فَلولا العِلْمُ ما سَعِدَتْ نُفُوسٌ ... ولا عُرِفَ الحَلالُ ولا الحَرامُ

فَبِالْعِلْمِ النَّجاةُ مِن المَخازِي ... وبِالجَهْلِ المذَلَّةُ والرَّغَامُ

والعِلْمُ شَرفُه لا يُدَانىٰ، وقَدْرُه لا يُقَارب، ولا يَجهل قَدرَه وعَظيمَ فَضْلِه إلا الجَاهلون؛ قال عبد الملك بن مَروان لِبَنيه: «يا بَنيَّ؛ تعلَّمُوا العلم؛ فإنْ كُنتم سَادَةً فُقْتُمْ، وإن كنتم وَسَطًا سُدْتُم، وإنْ كُنتُم سُوقَةً عِشتُم».

لذا لا بد مِن الصَّبر علىٰ تَحصيله؛ لأنَّ العِلم لا يُعطيك بعضَه حتَّىٰ تُعطيه كُلَّك، ويَجب اغتنام سِني التَّحصيل الذَّهبية؛ **ولله دَرُّ الشَّاعر حيث قال**:

فَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

ومَنْ فاتَهُ التَّعْليمُ حالَ شَبابِهِ ... فَكَبِّرْ عليْهِ أرْبَعًا لوَفاتِهِ

والطَّريقُ الوَحيدُ المُوَصِّل إلىٰ رِضوان الله ﷻ: هو العِلم النَّافع الذي بَعَثَ اللهُ به رُسلَه، وأنزل به كُتُبَه؛ إذ به يُهتدىٰ في ظُلُمات الشَّهَوات والشُّبهات.

والعِلم الشَّرعي: هو العِلم بكتاب الله ﷻ، وسُنَّة نَبيه ﷺ، وما يَنبثق عنهما مِن عُلُوم، وما يُستنبط منهما مِن أحكام.

وحَمَلَةُ العِلم الشرعي هُم وَرَثة الأنبياء؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر:٣١، ٣٣].

وأَوَّلُ سَبيل لِتَحصيل العِلم: هي تقوىٰ الله؛ قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وليس العلم عَن كَثرة المَعرفة والحِفظ، ولكن ثَمَرة العِلم الحقيقيَّة هي خشية الله؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وبعد: فهذه سبعةُ مَجالس في العلم لِفَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهاجرِيِّ حفظه الله.

المجلس الأوَّل: تحدث فيه فَضِيلتُه عن فَضْل العِلم، وأهميَّة طَلَبه.

المجلس الثَّاني: تَنَاول فيه جُملة مِن الآدَاب التي يَنبغي أن يتحلَّىٰ بها طالبُ العِلم.

المجلس الثَّالث: تعرَّض لمصَادر وطُرُق تَلَقِّي العِلم.

المجلس الرَّابع: ذكر فيه أنموذجًا للمتابعة والعناية بها بهذه المصادر والطرق.

المجلس الخَامِس: بَيَّن فيه علاقة طالب العلم بالكتب.

المجلس السَّادِس: ذكر فيه بعض ما يُشين طالب العلم.

المجلس السَّابع: تحدَّثَ فيه عن أَخْلاقيَّات طَالِب العِلم مع مَنْ حوله.

هذا، وقد قُمنا في دار «المنهاج» بإِعْدَادِ هذه المجالس للنَّشر بعد أَنْ عَرَضْناها علىٰ فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهاجري حفظه الله؛ لمُرَاجعتها، لتخرج في صُورةٍ طيِّبة نافعة، **وذَلِكَ وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْميَّة المَنْهجيَّة التَّالية**:

١- عَمَل إِعَادة صِيَاغة وهَيْكَلة لهذه المَجَالس المَسْموعة، وتَحويلها إلىٰ كتابٍ مَقروء، ومن ثم مُرَاجعتها مُرَاجِعة لُغوية دَقيقة.

٢- إثباتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحَف الشَّريف.

٣- تَخْريجُ الأَحَاديث والآثار.

٤- عَمَل عَنْوَنة، وفهْرسة لمحتويات المجالس؛ ليَسْهلَ علىٰ القارئ الوُصُول إلىٰ بُغيته بِيُسرٍ.

٥- عمل مُقَدِّمة ذَكَرنا فيها طرفًا من أهميَّة طَلَب العِلم وفَضْله، وأهمية الحديث في هذا الموضوع، ومنهجَ إعداد هذه المَجَالس للنَّشر في هذا الكتابِ.

٦- عَمَل تَرْجمة لفَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان حفظه الله.

والله مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

قسم التحقيق والتحليل العلمي
بـ «دار المنهاج»

ترجمة فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهاجري

اسمُهُ:

هُو فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بنُ رَمزَان آل طَامي الهَاجِرِي حَفِظَهُ اللهُ.

مَولدُهُ وموطنُهُ:

وُلِدَ الشَّيخ ابنُ رَمزَان في الجبيلِ في المَنطِقَة الشَّرقِيَّة، المَملَكَة العَرَبِيَّة السُّعوديَّة.

طلبُهُ للعلمِ:

طَلَبَ الشَّيخ الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهَاجري العِلمَ، وتَلَقَّاه علىٰ كِبَار المَشَايخ، واجْتَهَد فِيه، وذَلك إلىٰ جَانِب دِرَاسَته النِّظَامِيَّة التي حَصَلَ فِيها عَلَىٰ دَرَجَةِ (المَاجِستِير) في الفِقهِ مِن جَامِعَةِ الإمَامِ مُحَمَّد بن سعُودٍ في الرِّيَاضِ.

مَشَايخُهُ:

وَفَّقَ اللهُ ﷻ فَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان للتَّتَلْمُذِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِن أكَابِر عُلَمَاء

أهلِ السُّنَّة، والجُلُوس إِلَيهم، والنَّهْل مِن عِلمهم، والاستفادة مِن دَلِّهم وحَالِهم، وقد سئل الشَّيخ -حَفِظَهُ اللهُ- عَن مَشَايخه، فَأجابَ بأنَّهم كَانُوا أكثَر مِن مِئتي شَيخٍ، ونذكُر مِنهُم علىٰ سَبِيل المِثَال:

١- شَيْخ الإِسْلَام عَبد اللهِ بن عبدِ العَزِيز بن بَاز رَحِمَهُ اللهُ.

٢- مَعَالي الشَّيخ صَالح بْن فَوْزَان الفَوْزان.

٣- العَلَّامة الإمَام مُحَمَّد بن صَالِح العُثيمِين رَحِمَهُ اللهُ.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ العلامة مُحَمَّد أمَان الجَامي رَحِمَهُ اللهُ.

٥- فَضِيلَة الشَّيخ العلامة رَبِيع بن هَادِي المدخَلِي حفظه الله.

٦- فَضِيلَة الشَّيخ صَالِح الأطرم رَحِمَهُ اللهُ.

٧- فَضِيلَة الشَّيخ حمَّاد الأنصَاري رَحِمَهُ اللهُ.

هذا، غَير مَا للشَّيخ مِن عِلَاقَات وَطِيدة مَع أَفَاضِل العُلماء، وقد استَضَافَ كثيرًا منهُم، ومن هَؤلَاءِ:

١- الإمام المحدث العَلَّامَة مُحَمَّد ناصر الدِّين الألبَانِي رَحِمَهُ اللهُ.

٢- فَضِيلَة الشَّيخ صَالح بن سَعد السُّحَيمي حَفِظَهُ اللهُ.

٣- فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن هَادي المَدخَلي حَفِظَهُ اللهُ.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ عَايد بن خليفٍ الشِّمَري حَفِظَهُ اللهُ.

٥- فَضِيلَة الشَّيخ عُبيد بن عبد الله الجَابري حَفِظَهُ اللهُ.

٦- فَضِيلَة الشَّيخ فَلَاح بن إسمَاعيل مِندكار حَفِظَهُ اللهُ.

۞ صِفَاته:

نحسَب أن أبرزَ صفَة تَميُّز فَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان -حَفِظَهُ اللهُ- واللهُ حَسِيبه- هَضْمُه لِنَفْسِه، فتجده لا يَتَحَدَّث عن نَفسِهِ؛ ودَائِمًا ما يَنصح طُلَّابه أن يَرجِعُوا إلىٰ العُلمَاءِ الكِبَار.

۞ دُرُوسه العلميَّة:

للشَّيخ ابن رَمزَان- حفظه الله- نَفَسٌ طَوِيلٌ فِي الدُّرُوس المُسْتَمِرَّة، ودَأَبٌ عَجِيبٌ عَلَىٰ شَرْحِ مُتُون العُلَمَاء وكُتُبهم النَّافِعَة، وجَلَدٌ فِي المُثَابَرة علىٰ ذلك؛ فقد أَنْهىٰ- بِفَضْل اللهِ- فِي مُحَاضَرَاتِه شَرْحَ الكُتُب التَّالِيَة:

١- عُمدة الأحكَام، لِلإِمَامِ عَبد الغنيِّ المقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢- شَرح السُّنَّة، لِلإِمَامِ البربَهَارِي رَحِمَهُ اللهُ.

٣- الإبَانَة الصُّغرَىٰ، لِلإِمَامِ ابن بطَّة رَحِمَهُ اللهُ.

٤- لُمعَة الاعتِقَاد، لِلإِمَامِ ابن قدَامَة المقدسِي رَحِمَهُ اللهُ.

٥- الطَّحَاويَّة، لِلإِمَامِ أبي جَعفَر الطَّحَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الأربَعِين النَّوويَّة، لِلإِمَامِ مُحيِي الدِّين يحيىٰ بن شَرَف النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- جُزْءٌ من كِتَاب «رَوضَة النَّاظِر» للعَلَّامَة ابن قُدَامَة المقدسِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الوَرَقَات، لِلإِمَامِ العمريطي.

٩- البيقونيَّة، لعُمر بن فتوح البَيقُوني رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- الرَّحبيَّة، لِلإِمَامِ أبي عبدِ اللهِ الرَّحبي الشَّافعِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١- الوَاسِطِيَّة، لِشَيخِ الإسلَام ابن تيمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢- كِتاب التَّوحِيد، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- مَسَائِل الجَاهِلِيَّة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رحمه الله.

١٤- كَشف الشُّبُهَات، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥- فَضل الإسلَام، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦- الأُصُول الثَّلاثة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧- القَوَاعِد الأَربَع، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٨- الأُصُول السِّتَّة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٩- مختصر زاد المعاد، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٠- كتاب العِبَادَات من «مَنهَج السَّالِكِين» للعَلَّامَة السَّعدي.

٢١- الدُّرُوس المُهِمَّة لعامَّة الأمَّة، لسَمَاحة الشَّيخ ابن بَاز رَحِمَهُ اللهُ.

٢٢- الأصُولُ من عِلمِ الأُصُول، للعَلَّامَة ابن عُثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

٢٣- المُلخَّص الفقهِيُّ، للشَّيخِ صَالِح الفَوزَان حَفِظَهُ اللهُ.

۞ مؤلفاته :

صَدَرَت عَن دار (المنهاج)- مصر كُتُب لِفَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان، هي:

١- الفُروق الجَلِيَّة بَين السَّلَفِيَّة والدَّعَوات الحِزْبِيَّة البِدْعِيَّة.

٢- مَجَالسُ في العِلم (مجلَّد).

٣- أَسْبَاب تَحْصِيل الهِدَايَة.

٤- وُضُوح المَنْهج السَّلَفي، وأَثَره في انْتِشَار الدَّعوة إلىٰ الله.

٥- أَسْبَاب احْتِوَاء الخَوَارج.

٦- هَدْي السَّلَف الصَّالح في تَرْبية الأَبْنَاء، ويَليه: أَسْبَاب جُنُوح الحَدَث.

- وبِالدَّار كُتُب أُخْرَىٰ تَحت الطَّبْع، وهِي:

١- شَرْح كِتَاب التَّوحيد- مُجَلَّدان.

٢- شرح مَسَائل الجَاهِلِيَّة- مُجلد.

٣- الهَدْي النَّبَوي لِوَقاية الإنسانِ مِن الشَّرِّ.

٤- ثَبَات أَهْل الحَديث أَمَام الفِتَن والتَّغَيُّرَات.

٥- حِمَاية الإنسانِ مِن كَيْد الشَّيْطَان.

٦- مَن يُرِد اللهُ به خَيرًا يُفَقِّهه في الدِّين.

٧- لُزُوم الجَمَاعة وطَاعة وُلَاة الأَمر، وأَثَر ذَلك عَلىٰ الفَرْدِ والمُجتمع.

❁ جدول دُرُوس الشَّيخ ابن رَمزَان:

لفَضِيلَة الشَّيخ -حَفِظَهُ اللهُ- دُرُوسٌ قَيِّمَةٌ نافِعَةٌ كثيرةٌ تشمَل مُعظَم أيَّام الأُسبُوع، وهي:

١- يوم السَّبت يشرح فيه «مَعَارج القُبُول» لحَافِظ حَكَمي، و«تَفسِير ابن كَثِير»، و«القَوَاعِد الفِقهِيَّة» للعَلَّامَة السَّعدِي في جَامع عتبة بن غَزوَان، بالدَّمَّام.

٢- يَوم الأحد، يشرح فيه «رسائل مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب»، و«كتاب التَّوحِيد» بعد صَلَاة المَغرِب، بجَامِع عمر بن عبدِ العَزيز بالجبيل البَلَد.

٣- يَوم الإثنين، يشَرح فيه «عُمدة الأحكَام» لِلإِمَامِ عبدِ الغَنِي المقدسي، و«أُصُول السُّنَّة» لِلإِمَامِ أحمَد بن حَنبَل.

٤- يَوم الخَمِيس بعد صَلَاة الفَجر بمَسجد سُراقة بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجبيل الصِّناعيَّة في يُدَرِّس من الكُتُب التَّاليَة:

أ- «تَفْسِير القُرآن العَظيم»، للحَافِظ ابنِ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ب- «بُلُوغ اَلمَرَامِ مِن أدلَّةِ الأَحكَام»، للحَافِظ ابنِ حَجَر العَسْقَلَانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ج- «الشَّريعة» للأمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

د- «عُمدة الفِقه»، للإمام ابن قُدَامَة المَقْدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

هـ- «زَاد المَعَاد في هَدْي خَير العِبَاد»، للعَلَّامة ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا، بالإضَافَة إلىٰ دروس الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ الأسبوعية في مدن أخرىٰ، كالدَّمَّام، والخفجي، والنعيرية، وقيصومة، والأحساء.

۞ رحلاته وأسفاره في الدعوة ونشر العلم:

سَافر الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ إلىٰ المَغرب، وتُركيا، وأوروبَّا، والهِند، وبنجلاديش، وسريلانكا، وسلطنة عُمَان، والإمَارَات، وغيرهَا من الأمَاكِن في جَمِيع أنحَاءِ العَالَم للدَّعوَة.

وَسَافَرَ إلىٰ المَغرِبِ مع الشَّيخ صَالِح السحيمي للمُشَاركة في دَورَةٍ عِلمِيَّة بعنوَان «دَورَة الإمَام مَالِك بن أنسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»، حيث دَرَّس في «مُوطأ الإمَامِ مَالِكٍ»، و«الرِّسَالَة» لابن أبي زيد، مع بعض المَحاضَرات المفيدة.

۞ تَزكيات العُلَمَاء لفَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان:

أثنىٰ علىٰ الشَّيخ كثيرٌ من العُلَمَاء، نذكُر مِنهم:

١- سَمَاحَة الشَّيخ عَبْد العَزيز آل الشَّيخ، مُفْتي المَمْلكة حَفظَهُ اللهُ، حَيْث حَاضَر الشَّيخ مُحَمَّد بْن رَمزَان، والشَّيخ مُحَمَّد الفِيفِي، يومَ الخَمِيس ١٠/ ٣/ ١٤٣٦هـ، بمَسجِد سَمَاحة المُفْتي -جَامع الإمَام تركي بْن عَبْد الله بالرِّياض- ندوَةً بعُنوَان «خَطر دَاعِش، وجَبهَة النُّصرة، وتَنظِيم القَاعِدَة علىٰ الأمَّة».

وقد عَلَّق سَمَاحَةُ الشَّيخ عَبد العَزِيز آل الشَّيخ عَلَىٰ النَّدوَة، وأجَابَ علىٰ الأسئِلَة، وأثنَىٰ عَلَىٰ الشَّيخَينِ الفَاضِلَين.

٢- فَضِيلَة الشَّيخ العلَّامَة أحمَد بن يَحيَىٰ النَّجمِي رَحِمَهُ اللهُ، حيثُ قَالَ عَن الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان: «هَذَا مِن رُؤُوس أهلِ السُّنَّة».

٣- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة زيد بن مُحَمَّد بن هَادِي المَدخَلِي رَحِمَهُ اللهُ، حيث كَانَ يذكُرُ الشَّيخَ ابن رَمزَان، ويُثنِي عَلَيهِ كَثِيرًا.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة عُبَيد بن عَبدِ الله الجَابري حَفِظَهُ الله، حيثُ كَانَ يُثنِي عَلَىٰ الشَّيخ ابن رَمزَان ثَنَاءً عَطِرًا.

وعِندَمَا اتَّصَلَ به سَائِلٌ- وكَانَ من الجُبيلِ- وسَأَلَه الشَّيخُ عُبَيد؛ مِن أَينَ

أَنتَ؟ فَقَالَ: مِن الجُبيل! وكَانَ الشَّيخ عبيد مَشغُولًا، فقَالَ له: عِندَكم الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَانَ، اتَّصِلْ بِهِ، واسأَلْهُ!

٥- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة صَالِح بن سَعد السُّحَيمِي حَفِظَه الله، حيثُ إنَّ ثَنَاءهُ علىٰ الشَّيخ بن رَمزَان مَعْلومٌ مَشهُورٌ.

وقَد شَارَكَه في العَدِيدِ مِنَ الدَّورَات العِلمِيَّة مِنهَا أكثَر مِن دَورَةٍ في إيطَاليَا، ودَورَةٍ في المَغرِبِ.

مجالس في العلم

مقدمة المؤلف

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بعدُ:

فمرحبًا بوصيَّةِ رسول الله ﷺ، كَمَا أتىٰ في «جامع الترمذي» من حديث أبي سعيد: «كان إذا رأىٰ الشَّابَّ؛ قال: مرحبًا بوصيَّةِ رسول الله ﷺ»[(١)].

وقد اختارَ الأشياخُ الكِرَامُ أن يكون عُنوان هذه المَجَالس: «**مجالس في العلم**»، هذا مع أنني ممَّن هم بحاجةٍ إلىٰ الجلوس في مثل هذه المجالسِ للتعلُّمِ، ولكنهم ظنُّوا بي خيرًا! وإن كنتُ أرىٰ نفسي دون ذلك، ولكن أسألُ اللهَ -تبارك وتعالىٰ- أنْ يوفِّقَني وإياكُم للعلمِ النافعِ، والعملِ الصَّالحِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٠)، وابن ماجه (٣٤٧)، وحسنه الألباني في «الجامع الصغير» (٥٩٦٤).

المجلس الأول

فضل العلم

المجلس الأول
فضل العلم

المجلس: هو المَكَان الذي يُجلس فيه.

والمجالس على أنواع:

- مَجَالِس هُدىً ومَجَالِس هَوىً.
- مَجَالِسُ خيرٍ ومَجَالِس شَرٍّ.
- مَجَالِس عِلْمٍ ومَجَالِس لَهْوٍ.
- مجالس آياتٍ وأحاديثَ ومَجَالِس شَهَوَاتٍ وشُبُهاتٍ.
- مجالس دُنْيا ومَجَالِس آخِرة.
- مجالس يقومُ أصحابُها كأنَّما تفرَّقوا عن جِيَفٍ، ومجالس هي رياضٌ من رياض الجنَّة.

ومَجَالِسُ العِلم هي خيرُ هَذه المَجَالِس وأَطيبها، وهي التي أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ

أن يُجلسَ فيها، وسمَّاها رِيَاضًا؛ فقال: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**»(١).

جعل اللهُ مَجَالسنا رياضًا من رِيَاضِ الجَنَّة.

فما هو العلم؟

العِلْمُ: هو معرفةُ الحقِّ بالأدلَّة الشَّرعيَّة، ومن أجملِ ما قيل في هذا:

العِلْـــمُ قَـــالَ اللهُ قَـــالَ رسُـــولُه ... قَـــالَ الـــصَّحَابَةُ هُـــمْ أُولُـــو العِرْفَـــانِ

مَـــا العِلْـــمُ نَـــصْبُكَ لِلْخِـــلَافِ سَـــفَاهَةً ... بَـــيْنَ الرَّسُـــولِ وَبَـــيْنَ رَأْيِ فُـــلَانِ (٢)

وعليه؛ فالعلم: آيةٌ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو حديثٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، أو أثرٌ مُعتمَدٌ، أو إجماعٌ مُعتبَرٌ، أو قياسٌ صحيحٌ.

«**ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ له بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**»، كما جاء في «صحيح مسلم»(٣).

وفي حديث أبي داود، والتِّرمذي، وصحَّحه الشَّيخ نَاصِر الدِّين الأَلْبَاني، عن أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يطلُب فيهِ عِلمًا، سَلَكَ اللهُ به طريقًا من طُرُقِ الجنَّة، وَإِنَّ المَلَائكةَ لَتَضَعُ**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٠) (١٢٥٤٥)، والترمذي (٣٥١٠) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٦٢).

(٢) من كلام ابن القيم في «القصيدة النونية» (ص٢٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أجنحتَهَا لِطَالِبِ العِلمِ رضًا بِمَا يصنعُ، وإنَّ العالِمَ لَيستغفرُ له مَن في السَّماوات، ومن في الأرض، والحيتانُ في جَوْفِ الماءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٥).

وسنتناول هذا الحَديثِ بشيء مِن التَّعْلِيق؛ إذْ فيه الإخلاصُ في طَلَبِ العِلم، وفيه الوعدُ بالجنَّة، وفيه تأييدٌ مِن الملائكة لطالبِ العِلم، وفيه دعاءٌ واستغفارٌ له، وفيه بيانُ فَضْل العِلْم ومَنزلة العُلَماء.

وقوله ﷺ: «مَن سَلَكَ طَرِيقًا يطلُبُ فيهِ عِلمًا، سَلَكَ اللهُ به طريقًا من طُرُقِ الجنَّة»، فقَدْ تقدَّم بيانُ معنىٰ العلمِ، وَأنَّ أَشرف العِلمِ مَا كانَ يَتَعلَّقُ بحقِّ الله ﷻ؛ كالعقيدة: وذلك كالكلام في أسمائه ﷻ وصفاته، وكالحديث في كلامه ﷻ؛ (القرآنِ وحِفْظه).

فيجب علىٰ طالبِ العلم أن يعتني بهذه المسائل، وكما قال النَّبِيُّ الكريم ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خَيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّين»(٦)؛ فهنا إرادةٌ وفِقهٌ

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦) (٢١٧٦٣)، والترمذي (٢٣٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢١٢).

(٦) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وخيريَّةٌ؛ فالخيريَّة لمن فَقُهَ، وتمامُ الفِقهِ هو العلمُ والعملُ:

فَعَـــالِمٌ بِعِلْمِـــهِ لَـــمْ يَعْمَلَـــنْ ... مُعَـــذَّبٌ مِـــنْ قِبَـــلِ عُبَّـــادِ الـــوَثَنْ
وَكُـــلُّ مَـــن بِغَيـــرِ عِلْـــمٍ يَعْمَـــلُ ... أَعْمَالُـــــهُ مَـــــردودَةٌ لا تُقْبَـــــلُ
واللهَ أَرْجُـــو المَـــنَّ بـــالإِخْلَاصِ ... لِكَـــي يَكُـــونَ مُوجِـــبَ الخَـــلاصِ[1]

والمُرائي في طَلَب العِلم مِن الثَّلَاثة الَّذين هُم أَوَّل مَنْ تُسَعَّر بهم النَّار[2].

إذًا يجبُ علىٰ العَبد أن يَنظر إلىٰ إرادتِه ونِيَّته في طلب العلم، وإلىٰ العلم الذي يريدُ تعلُّمَه؛ فإن كان فِقهًا في الدِّين؛ فهذا من إرادةِ الخيرِ له؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين**»، وكما قال أيضًا ﷺ:

---

(١) انظر مُقَدِّمة مَنظومة «صَفْوة الزُّبد» لابن أرسلان.

(٢) أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الله -تَبارَك وتعالىٰ- إذا كان يوم القيامة ينزل إلىٰ العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأوَّل من يدعو به رجل جَمَع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت علىٰ رسولي؟ قال: بلىٰ يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل، وآناء النهار، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردتَ أن يقال: إنَّ فلانًا قارئ، فقد قيل ذاك، ويؤتىٰ بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحدٍ؟ قال: بلىٰ يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكةُ: كذبتَ، ويقول الله تعالىٰ: بل أردتَ أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذاك، ويؤتىٰ بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتىٰ قتلتُ، فيقول الله تعالىٰ له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك**»، ثم ضرب رسول الله ﷺ علىٰ ركبتي، فقال: «**يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أوَّل خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة**».

«خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا»[(١)].

أي: الأشرافُ ذوو الجاهِ والمَنزلة فِيكم- ربَّما فاقَهُم مَن فَقِهَ، وهو دونَهم مِن حيثُ تلكَ الاعتِبَارَاتِ.

أمَّا إذا كانوا خِيارًا في الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلُوا الإسلامَ وفَقِهوا فيه، فهو أعلىٰ في المرتبة؛ فقد زادهم ذلك، وَزَانَهم.

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ مرتبةَ العلمِ شَرَفٌ يَفُوق كلَّ شَرَفٍ.

فهو عِزٌّ دُون سُلطانٍ، وقوَّةٌ دون جُندٍ، ومَنَعَةٌ دون حارسٍ، ورِفعةٌ دون مالٍ وجاهٍ؛ فإنَّ اللهَ ﷻ يرفعُ بِالعلم أهله، كما قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فالله ﷻ يرفعُ مَن أُوتوا العِلمَ بالعِلم؛ بشرطِ أن يكون طلبُهم له خالصًا لوجه الله جَلَّ وعَلَا.

عنايةُ طالب العلم في إخلاص النِّيَّةِ:

وقال الإمامُ أحمدُ: «طَلَبُ العِلم أَفْضَلُ الأعمالِ لِمَن صَحَّت نِيَّتُه»، قيل: فأيُّ شَيء تَصحيح النِّية؟ قال: يَنوي بتواضعٍ، ويَنفي عنه الجَهْل»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٤)، ومسلم (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «الفروع لابن مفلح، ومعه تصحيح الفروع للمرداوي» (٢/ ٣٣٩)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.

ففرقٌ بيِّنٌ بيْنَ مَن يتعلَّم لِيتكلَّم، وبين مَن يتعلَّم ليعملَ بالعلم.

هَتَـــــفَ العِلْـــــمُ بالعَمَـــــل فَـــإنْ أجَابَـــهُ وَإلَّا ارْتَحَـــلْ (١)

وثَمَرة العلمِ: العملُ به.

فلا يتعلَّم المَرءُ العلمَ ليُمَارِيَ به السُّفَهاءَ، أو ليتصدَّرَ به المجَالِس، أو لتُوطَأَ عَقِبُه(٢)، أو يَكْثُرَ الجمعُ حوْلَه، أو يُشَارَ إليه بالبَنَانِ، أو يكونَ ذا وَجَاهةٍ في النَّاس؛ فالعِلم يقودُ لهذه الأمور، فلا تجعلْها لكَ قصدًا، إنما هي تأتي تَبَعًا، ولكن صحِّحِ النِّيَّة، وأخلصِ القصدَ، وارفعِ الجهلَ عن نفسك.

ومَن رأىٰ أنَّه بلغَ في العلمِ الغايةَ؛ فهذا عنوانُ الجهلِ، فلا يزالُ الإنسانُ بحاجةٍ إلىٰ العلم، ولذلك بوَّبَ البخاري باب: «العلم قبل القَوْل والعَمَل»، فاحْتجَّ بآيةٍ مِن كتاب الله.

قوله ﷺ: «**سَلَكَ اللهُ بِه**»: هذا لفظ مسلم، وهنا قال: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَطلبُ به علمًا، سَلَكَ اللهُ به طَرِيقًا من طُرُقِ الجنَّة**».

إذًا، طُرُقُ الجنَّةِ من حيث الأعمال الصَّالحةِ كثيرةٌ، كما قال سبحانه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تحقيق الألباني (ص٣٥، ٣٦).

(٢) أي: يُصَاهره عِلية القوم، أو يتبعه الناس.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وهنا تعديدُ السُّبُلِ من حيث الأنواع، وإلَّا مِن حيث الجنسِ، فهو واحد: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]، هذا من حيث إنَّه سبيلٌ واحدٌ، وهنا ذَكَرَ سُبُلًا، وَهُنَا ذَكَرَ طُرُقًا من حيث أنواع الأعمالِ الصَّالحة.

إذًا، هنا ذكرَ قصدَ العلمِ، ثمَّ ذكر نتيجتَه، والثَّمرَةَ المؤدِّيةَ به إليه، وهي أنه طريقٌ موصِّلٌ للْجَنَّةِ.

حينما تسلك طريقًا للعلم فربَّما يأتيكَ الأجلُ، وحينما تسلك طريقًا من طُرُقِ الجنَّة (مُسافرٌ في تحصيلِ العلم) فرُبَّمَا يأتيك الأجَلُ، وحينما تسلك طريقًا من طُرُقِ الجنَّة؛ فأنت بالفعل سالِك سبيلًا من طرقِ الجنَّة، وهذا فضلٌ عظيمٌ، فالنَّبي ﷺ عندما ينبِّه مَن حوله، ويذكر الصَّحابةَ، لا يَعِدُهم بشيءٍ من الدنيا ومناصبها وزخارفها، وإنَّمَا جميع الوعودِ في الآخرة.

مثال ذلك: أنَّه ﷺ حينما رأىٰ آل ياسر يُعَذَّبون؛ قال لهم: «**صَبْرًا آلَ يَاسِر، إنَّ مَوْعِدَكُم الْجَنَّة**»[(١)]، وهذَا ممَّا يشحذ الهِمَمَ؛ لأنَّ طَرِيق الجَنَّة لا

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٠)، وصححه الألباني في «فقه السيرة» (ص١٠٣).

يُعرف إلَّا بالوحي، وإلَّا لَأَدرَكَهُ عقلاءُ بني آدمَ، ولَعَلِمَهُ أذكياءُ العالَم، ولكن لا يعرفون ذلك إلَّا بطريق الوحي، فهذا هو الطريق الموصِّلُ للجنَّة، ليس الأمر بحاجةٍ إلىٰ ابتكارٍ، أو اكتشافٍ، أو اختراعٍ، أو تطويرٍ، إنَّما هو شرعٌ مطهَّرٌ، رَضِيَه الله عَزَّوَجَلَّ، وأكملَهُ، وأتمَّه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

العلم الشَّرعي طريقٌ للجنَّة:

فكلُّ ما ورد مِن فضلٍ في الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة في شأن العلمِ -إنَّما هو المعنيُّ به علم الشَّريعة، فلذلك يطلقُ فيقال: «العِلم»، وأما سائرُ العلومِ فيُضافُ إليها ما يَكشِفُ المعني به؛ كعلمِ الحِسابِ، أو علم التَّصنيع والمَعَادن، أو علم الهَنْدَسَة، أو عِلم تَدَاوِي النَّاس والطِّب، فكلُّها بخلاف العلم الشَّرعيِّ.

وإذا قيلَ: «العلمُ»، تنصرف الأذهانُ إلىٰ العلم الشرعيِّ، وليس معنىٰ هذا التَّزْهِيد في علوم الآلةِ، أو الاكتسابِ، ولكنَّ الواردَ في الفضل إنَّما هو علم الشَّريعة.

ثمَّ ذكر ﷺ ما يميِّز هذا العلم من فضلٍ: «**وإنَّ المَلَائكةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يَصنعُ**»(١)، وهذا من باب التقديرِ والتَّبجيلِ لِما يقوم به.

والملائكة كرامٌ يستغفِرون لِمُذنِبِنَا، وَيدْعُونَ لِصَالِحِنا، ويَقِفُونَ مَعَنَا ضدَّ أعدائِنَا مِن الإنسِ والجِنِّ، فكم للملائكة مِن مواقفَ مع المسلمِ المؤمنِ، وهم يستغفِرون وَيدْعُون له، ويَحُفُّونه، كما في الحديث: «**إنَّ لله مَلَائكةً طوَّافين يَلتمسُون حِلَقَ الذِّكرِ؛ فَإذا وجدوها حفوا بها إلىٰ عَنَانِ السَّماءِ**»(٢).

وكذلك: «**مَا اجتَمَعَ قومٌ في بيتٍ مِن بُيُوتِ الله، يَتلُون كتابَ اللهِ، ويَتَدَارَسُونَه فيمَا بينَهم، إلَّا نَزَلَت عَليهِمُ السَّكينةُ، وغَشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذكَرَهمُ اللهُ فيمَن عنده**»(٣).

وهذا شرفٌ، فعندما يقال لك: إنَّ الأميرَ أو الحاكم فلانًا، أو الوزير ذَكَرَكَ في المجلسِ فَأَثْنَىٰ عليك، فلَا شَكَّ أنَّك سَتَفْرَحُ بذلك؛ فالنُّفوسَ جُبِلَتْ علىٰ حبِّ الثَّناء، بل تَشرَئِبُّ إلىٰ المَدْح، وتلتفت إليه، فكيف بك يا عبد الله! يَذكرُك اللهُ فيمن عنده، ويباهي بك الملائكةَ: «**هَؤلَاءِ عِبَادِي، مَا اجْتَمَعُوا إلَّا**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦) (٢١٧٦٣)، والترمذي (٢٣٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِن أجلِي، أُشهِدُكُم يا ملَائِكَتِي أَنِّي قد غَفَرتُ لهم، فَيُقَالُ: يا ألله، هذا عبدُك فلانٌ، مَا أتىٰ إلَّا لحاجةٍ، قال: وله قد غَفَرْتُ، هُمُ القومُ لَا يَشقَىٰ بِهِم جَلِيسُهُم».

وأتىٰ في تمامِ الرِّواية: «**قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بدَّلتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ**»(١)، الله أكبر!

هذه هي المجالس المباركة؛ مجالس العلم.

إذًا، الملائكةُ تَضَعُ أجنحتَهَا رضًا بما يصنعُ طالب العلمِ؛ لأنَّ عمَلَه الذي قد يقوم به، قليلٌ مَن يَقُوم به! كَمْ مِن الأطباء في الأُمَّة الإسلاميَّة؟ كم أهل الهَنْدَسة؟ كَمْ من التَّخَصُّصات المختلفة؟ ولكن: كم عدد علماء الأمة؟! قد يعدون علىٰ أصابع اليدِ الواحدةِ؛ لأنَّ عليهم الاعتماد في الفتوىٰ؛ لِاعتِمَادِهم علىٰ قوَّةِ الأدلَّةِ.

فالأُمَّة بحاجةٍ إلىٰ علماء، وحاجتها إلىٰ هذا العلمِ أشدُّ من أيِّ حاجةٍ؛ بل مَا أَمَرَ اللهُ -تبارك وتعالىٰ- نبيَّه أنْ يَطلبَ الزيادةَ من شيءٍ كَمَا أمره أن يطلبَ الزيادةَ في العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢) (١٢٤٧٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢١٠).

أيُّ علمٍ؟ هذا العلم المبارك، وما من خيرٍ إلَّا ودلَّنا عليه النَّبيُّ ﷺ، ولا من شَرٍّ إلَّا وحذَّرَنا منه ﷺ، ثُم بَيَّنَ أنَّ هذا الَّذي يسْعَىٰ لإنقاذِ النَّاس، وتعليم النَّاس، وإخبار النَّاس بمَا يجب أن يقوموا به- له منَ الفضلِ أنَّ الكلَّ يستغفر له، والاستغفار له هنا الدعاء بالمغفرة.

قوله ﷺ: «**وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له من في السَّمَاوَات ومن في الأرض**»، ثمَّ ضَرَبَ مثالًا: قال: «**الحيتانُ في جوفِ الماء**»، وأتىٰ: «**والنَّملةُ في جُحرِهَا لَتستَغفِرُ لِمُعلِّمِ النَّاسِ الخيرَ**»؛ لأنَّ بقاءَ الكونِ مع بقاءِ العلمِ، فإذا ارتفَعَ العلمُ اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، وانتشرَ الشِّركُ، ثمَّ تقومُ السَّاعةُ عندما لا يقول أحدٌ: «**الله، الله**»(١).

فنِظَامُ الكونِ يأتِيهِ أمرُ اللهِ، فتقومُ الساعةُ عندما يزولُ أثرُ العلمِ، وإذا زالَ أثرُ العلمِ، مِنَ الصُّعوبَةِ أن يرجعَ الحالُ كَمَا كَانَ، فقد كَانَ آدمُ عليه السلام نبيًّا كريمًا، وذريته موحِّدة عشرةَ قرونٍ علىٰ التوحيد، كما قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كان بين آدم ونُوح عَشْرَةُ قُرُون؛ كُلُّهم علىٰ شَريعة مِن الحَقِّ، فلما اختلفوا بَعَثَ اللهُ النَّبيين والمُرْسَلين، وأَنْزَلَ كِتَابه؛ فكانوا أُمَّةً وَاحِدَة»(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٠) (٣٦٥٤)،

العرب بعدُ؛ أما وَدٌّ كانت لِكَلْب بدومة الجَنْدل، وأما سُوَاعٌ كانت لِهُذيل، وأمَّا يَغُوث فكانت لِمُرَاد، ثم لِبَني غُطَيف بالجَوْف، عند سَبَإ، وأمَّا يَعُوق فكانت لِهَمَدان، وأمَّا نَسْرٌ فكَانت لِحِمْير لآل ذِي الكُلَاع؛ أَسْمَاء رِجال صَالحين مِن قوم نوح، فلما هلكوا أَوْحَىٰ الشَّيطان إلىٰ قَوْمهم: أَن انْصِبُوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يَجلسون أَنْصَابًا، وسَمُّوها بأسمائهم، فَفَعلوا، فلم تُعْبَد، حتَّىٰ إذا هَلَك أولئك، وتَنَسَّخَ العِلم عُبِدَت»(١).

ولما انتشر الشرك ظل نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، ثم دعا اللهَ -تبارك وتعالىٰ- بدعائِهِ، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح:٢٦].

فأمر اللهُ -تبارك وتعالىٰ- السَّماءَ فأمْطَرتْ، وفَارَ الماء من التَّنُّورِ، وقُضِيَ الأمرُ.

فتأمَّل! نوح ظل بينهم عشرةَ قرونٍ، وقد كانوا قبل ذلك علىٰ التَّوحيدِ عشرةَ قرونٍ، فإذا انتشر الشرُّ، فقد تطولُ مدَّةُ التَّصحيحِ، وانتشار الشرِّ ربَّما يكونُ في زمنٍ قصيرٍ؛ لأنَّه لم يكن هناك متكلِّمٌ بالحقِّ.

ولذلك، دائمًا نُرَكِّزُ علىٰ مسائِلِ التَّوحيدِ والاتِّباعِ حتىٰ لا يُتْركَا فيندَرِسَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

انظُر إلىٰ هشاشةِ بعض النَّاس في الْتِفَاتِهم عندما يُقال: ضرع تَيْسٍ فيه لبن!

تجدهم يتوافدون أنَّ فيه شفاء، أو عامَّة القُرَّاء الجَهلة الَّذين تُضْرب لهم الآن أكباد المطيِّ، بل بعضهم قامت عمارات وشقق بالتأجير جواره، النَّاس يقصدونه، وانظر كيف الْتفَّ النَّاس إلىٰ قنوات السِّحْر والشَّعوذَة؟ كيف لو خرج الدَّجَّال، ويأمرُ السَّماءَ فتُمْطِر، والأرض تُنبِت، ويقول: أنا ربُّكم!

فالعقيدةُ والاهتمامُ بِها وبشأن التَّوحيدِ من الأهميَّةِ بمكانٍ.

يلي ذلك أمورٌ أخرى، وهي: الاتِّباع، وما يتعلَّق بالاقتداءِ بالمُصْطَفىٰ ﷺ.

ثُم ذكَر فضلَ هؤلاءِ الذين تستغفر لهم المَلَائكةُ، ويستغفرُ لهم أهلُ السَّماءِ والأرضِ، حتىٰ الدَّواب، وحتىٰ الحيوانات المائيَّةُ والبرية، ثم قال: «**إنَّ فَضْلَ العالِمِ علىٰ العابِدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ علىٰ سائرِ الكَواكبِ**»؛ لا يُرَىٰ إلَّا القمر؛ لأنَّه مُتميِّز في الرؤية.

كذلك العلماءُ عندما تأتي الأمورُ الجسامُ لا يُسمعُ لكلامِ العامَّة؛ إنَّما يُسمعُ لهؤلاءِ العلماءِ، فهُمُ البدورُ يُهتَدَىٰ بهم، ويُستندُ إلىٰ آرائهم، ويُستبصرُ بها، فكم كَشَفوا من زَيْغ، وكم بيَّنُوا مِن باطِل، وكم دلُّوا إلىٰ هدًىٰ، هم كالنُّجوم في السَّماء؛ فالنُّجوم علاماتٌ، ودلالةٌ وزينةٌ، ورجوم للشياطين، كذلك العلماءُ، هم زينةٌ لأهلِ الأرض، وهم أدلَّاءٌ إلىٰ الحقِّ، وهم رجومٌ علىٰ شياطينِ الباطلِ من الإنسِ والجنِّ.

قوله ﷺ: «**وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ**».

فالعلماء وَرَثَةٌ، والوارثُ عندما تكون له الأولويَّة فيمن يرثُهُ؛ دلَّ ذلك علىٰ أنَّه أقربُ النَّاس إلىٰ هذا الَّذِي يَرِثُهُ، وهذا دليلٌ علىٰ قُربِ أهلِ العلم من المُصطَفَىٰ ﷺ، وما لهم مِن منزلةٍ؛ ولذلك نَالُوا عُلوَّ المكانةِ.

لماذا نحترم العلماءَ ونقدِّرُهم ونُبجِّلُهم؟ لماذا لهمُ الطَّاعةُ دون بيعةٍ، ولهم تقديمُ الأمرِ والرَّأي؟

ذلك لأَنَّهم وُرَّاثُ النبي ﷺ الذي أخبر أنهم أهلُ الأولويَّةِ في الإرث، والإرث ليس دينارًا ولا درهمًا؛ «**وإنَّما ورثوا العلم؛ فمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ**»، ولذلك، الأنصبةُ في المَوَارِيثِ تختلفُ، أعلَاها الثُّلثان، ثمَّ النِّصفُ، ثمَّ الثُّلُثُ، ثمَّ الرُّبُعُ، ثُمَّ السُّدُسُ، ثمَّ الثمن، وهناك من يُحجبُ، وهناك من هو مِنَ العَصَبَةِ، وهكذا، فَعَليكَ بخيرِ الأنصبةِ، وذلك بعنايَتِك بإرثِ المُصطفىٰ ﷺ.

المجلس الثاني

جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم

المجلس الثاني
جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم

سنتناول في مجلسُنا هذا: ما يبدأ به طالبُ العلمِ.

بدايةً: قد مرَّ بنا العنايةُ بالقرآن، وهنا سنتكلَّم عن العقيدة.

❐ تصحيح العقيدة البداية السَّليمة لطالب العِلْمِ:

إذْ أوْلَىٰ ما يَبدأُ به طالبُ العلمِ هو تصحيح عقيدتِهِ، والنَّبي ﷺ يقول: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١).

ويدخلُ في هذا الذكرُ والأنثىٰ، و«مَن حُرِمَ الأصولَ، حُرِمَ الوصولَ».

يقول أبو عُبَيد القَاسم بن سَلَّام: «عَجِبتُ لِمَن تَرَكَ الأُصُولَ، وطَلَبَ الفُضُولَ»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٣).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤/ ٢٩٥) (١٥٧٢).

إذًا، يتعلَّمُ ما يُنجيهِ مِن عَذَابِ الله، ما يُنجيه مِنَ النَّارِ، وما يُدْخِلُه الجنَّة؛ يَتَعَلَّم التوحيدَ، ويعملُ بِهِ ويعتقده، يَعرفُ الشِّركَ فيحذَره، يتعلَّم السُّنَّة ويعمل بها، يعرف البدع فيَحْذَرها، يتعلَّمُ الحلالَ فيَتَحَرَّاه، يتعلَّم الحرامَ فيَدَعُه، يعرف الحقَّ من الباطل، والطَّاعةَ من المعصيةِ.

❐ **علاقة التَّقوى بطلب العلم:**

وكما يحتاج طالب العلم إلىٰ تصحيح عقيدته، وَوَجَبَ عليه ما لا يَسَعُه جهلُه منَ الفرائضِ؛ لأنَّ هذا أوَّلُ ما يجب علىٰ المكلَّفِ في مسائل العَقِيدةِ والعِبَادَةِ، كذلك وجب عليه أيضًا اجتنابُ مَا يحرُمُ عليه مِنَ الدِّماءِ، والأموالِ، والأعراضِ فَيتركها، وَمَا يَحلُّ له، وهذه تُلْزمُ لطالبِ العلمِ بعضَ الصِّفاتِ، فإنَّه إذا ازدادَ لله تقوىٰ؛ أَنَارَ له الطريقَ، والله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فأمرَه بأمرين: أمرَه بالتَّقوىٰ، وأَمَرَهُ بالعلمِ.

فالأُولَى: طَلَبٌ.

والثانية: خَبَرٌ.

فَلَا يَعرِفُ التَّقوىٰ إلَّا بالعلمِ، فإذا تَعَلَّم ما يأتي وما يذَر؛ فهذه هي التَّقوىٰ.

«**التَّقوىٰ**: كلمةٌ جامعةٌ لفعلِ كل ما يحبُّه الله ويرضاه مِنَ الأقوالِ

والأفعال الظاهرةِ والباطنةِ، وترك كل ما يبغضُه الله ويأباه من الأقوالِ والأفعالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ»[(١)].

والتقوى: أن تجعلَ بينك وبين عذابِ الله وقايةً، وأن تعْلَمَ مَا تتَّقي وَمَا تَأتِي، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وليس معنىٰ ذلك: أنَّ العلمَ يأتي بدون تعَلُّم، فيأتي أحدُهم فيقولُ: أنت إذا تَرَكتَ الحرامَ، فتحَ اللهُ عليك، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**إنَّمَا العلمُ بالتَّعلُّم، وإنَّمَا الحلمُ بالتَّحلُّمِ، فمن سألَ الخيرَ أُعطيه، ومَنِ اتَّقىٰ الشَّرَّ وُقِيَه**»[(٢)].

إذًا، العلمُ مُكْتسَبٌ، وليس فُيُوضًا ولا مَنَامَاتٍ، إنَّما العلم بحاجةٍ إلىٰ تحصيلٍ؛ إمَّا بالقراءة والجلوس إلىٰ الأشياخ، أو التَّحْصِيل الذَّاتي والمُذَاكرة.

أمَّا عن الصفات التي ينبغِي أن يتحلَّى بها طالبُ العلم في طريقِهِ:

هي في الحقيقةِ صفاتٌ كثيرةٌ قد تَصِلُ إلىٰ ستِّينَ أو سبعين صفةً، ولكن سَنتعرَّض لأصولِ هذه الصِّفاتِ التي إذا تحصَّل عليها طالبُ العلم؛ فستَأْتِي تلك -بإذن الله- تبعًا:

الأُولَى: الصِّدق:

---

(١) انظر: «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٦٣)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٢).

فيجب أن يكون طالبُ العلم صادقًا مع الله، ومع نفسه، ومع النَّاس، فإذا لم يكن صادقًا مع الله، ولا مع نفسه، ولا مع النَّاس؛ فهذا بطَّالٌ، صاحبُ حِيَلٍ، ومَهْما تستَّر فسينفضح، وسينكشف، ولذلك يَنبغي لك أن تعتنيَ أشدَّ العناية بأن تكون صادقًا مع الله.

وعلاماتُ الصِّدق: أن تتركَ ما تحبُّ نفسُك ابتغاءَ مرضاةِ الله، وأن تترك ما يحبُّ الناسُ ابتغاءَ مرضاةِ الله، وأن تُقدِّمَ ما يحبُّه اللهُ وإن كَرِهَه النَّاسُ وكرِهَتْه نفسُك؛ وسيكون لك التوفيقُ من الله.

«**فَمَن أَرضَىٰ اللهَ بسَخطِ النَّاس؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأَرْضَىٰ النَّاسَ عنه، ومن أسخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ؛ سَخطَ اللهُ عليه، وَأَسخَطَ النَّاسَ عَلَيه**»[(١)].

وهناك مَثَلٌ يضربُهُ النَّاسُ، فيقولون: رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدرك.

هذه العبارةُ نسمعُها كثيرًا في مجالس العلم.

وقد قال شيخُنا مُحَمَّد بن أمان الجامي -رحمة الله عليه- في شرحه في «الأصولِ الثَّلاثةِ»: «رضا الله غايةٌ تُدرَك، وهي مطلوبةٌ، ورضَا النَّاسِ غايةٌ لا تُدرك، وهي غيرُ مطلوبةٍ، فتنافسَ النَّاس فيما لا يُدرَكُ، وليسَ هُوَ بمَطْلُوبٍ،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

وتَرَكُوا ما هو مُدرَكٌ ومطلوبٌ، وهذه لا شكَّ حكمةٌ».

ذلك فيما يتعلَّقُ مع النَّاس، مع نفسه، مع الله؛ أمَّا الإخلاصُ فأمرٌ قلبيٌّ، قد يظهر منه أشياء في الظَّاهر، ولكن عالِم الغيب يعلم السَّرائر، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، فأخْلِص في تحصيلك وفي طلبِك تُفْلِحْ، ويكونُ في هذا العلمِ بَرَكَةٌ وإنْ كان قليلًا.

الثَّانية: الأدبُ:

ويشملُ جملةً من الأمور؛ فهو نواحٍ أخلاقيَّة، ولذلك قيل:

بُنَـــيَّ إنَّ البِـــرَّ شَـــيءٌ هَـــيِّن وَجْـــهٌ طليـــقٌ ولِـــسَانٌ لَـــيِّنُ

طلاقةُ الوجهِ، بِشْرُ المُحَيَّا، عفيفُ اللسان، إنْ تكلَّمَ تَكَلَّم بأدبٍ، وفي مجلس العلم يكون قريبًا من شيخِهِ ليسمعَ، كما كان الصحابةُ يَتَزَاحمون عند النَّبيِّ ﷺ، ويعجِّل بعضهم بالإتيانِ حتَّىٰ يكونُ له المُقدِّمةُ؛ فيحظَىٰ بالقُربِ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، وَهَكَذا يَتَواصَون، فَمن كَانَ لَه عَمَلٌ، يَجعل له أخًا يأتي محلَّه فيخبره، كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل، قال رضي الله عنه: «... إِنِّي كُنتُ وجَار لِي مِن الأَنْصَار في بني أُمَيَّة بن زَيد، وهي مِن عَوَالي المَدِينة، وكنا نَتَنَاوَبُ النُّزول علىٰ النبي ﷺ، فيَنزل يومًا وأَنْزِل يومًا، فإذا نَزَلْتُ جِئتُه من

خَبر ذلك اليَوم مِن الأَمر وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَه»، الحديث[١].

الأدبُ في: أنْ يَشوصَ فاهُ بالسِّواكِ في مجلسِ العلمِ، وأنْ يأتي مُهَنْدمًا في مجلس العلم، فقد كان الإمامُ مالك يتطيَّبُ، ويَلبَسُ أحسنَ الثِّيابِ، فهذه المجالسُ مشهودةٌ، تَحضُرُها المَلَائِكةُ، يَذكُرُها اللهُ فيمَن عنده، إذا أَرَدْنا أن نُقَابِلَ المسؤولينَ، أو أن نَجلسَ بينَ هَؤلاءِ أو مع الأمراء؛ لبسْنَا أحسن الثِّياب، وتَضَمَّخْنا بأحسنِ الطِّيب، وتهيَّأْنا بأحسنِ التَّهيِئَةِ، وإذا أَتَينَا في المناسبات كذلك.

لكن مجلس العلمِ أولىٰ بذلك من هذا كله، فلأن تَتَهَيَّأَ لهذا المجلسِ أولىٰ، وهذا مِنَ الأدبِ، فلا تكون رائحتُك كريهة، تَتَطَيَّب؛ لأنَّ في مجالسِ العلمِ تَتَزَاحمُ الرُّكَبُ، فينبغي أن تكونَ منك الرائحةُ الطَّيِّبةُ، فلا تنبذ في المجلس، ويُكْره الجلوس بجوارك.

كذلك، الأدبُ في خطابِهِ مع زملائه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).

الثَّالثة: الإنصَات:

يجب في مجلسِ العلمِ أنْ ينْصِت، فالنَّبي ﷺ أَمَرَ بذلكَ كَمَا في خُطَبِهِ في الحجِّ، قال: «**استنصِتْ لي النَّاسَ**»(١).

وبعض المشايخ لا يحبُّ أحدًا أنْ يتكلَّمَ في مجلسِهِ، فمنهم:

شيخُنا عبد الله بن غُدَيَّان، وهو مُرَبٍّ وعالمٌ جليلٌ، كان لَا يَصبِرُ في مَجلسِهِ إلَّا من يريدُ العلمَ، وأمَّا البَطَّالُون فَلَا يَجلِسُون عنده، ففي مرَّةٍ -وكان يشرح «القواعد» لابن سعدي- تَكَلَّمَ أحدٌ مع صاحبِهِ؛ فقَطَعَ الدرسَ، وقال له: اسكتْ، اسكتْ أو اخْرُج.

فالتفت الذي تكلَّم، فقال الشَّيخ: لا تلتفت، فغضب من هذا التَّصَرُّف.

أيضًا، الشَّيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كان يغضبُ إذا تكلَّم في مجلسِهِ أحد، بل ربَّما يقطعُ الدَّرسَ ويأتي لشخصٍ، ويقول له: ماذَا قُلنا؟ أعِدْ، فإذا حارَ جوابًا، قال: انتبه معنا.

فدعْ عنك الهمسَ أثناء الدَّرس، ولا تنشغلْ بمن معك كما يفعل بعض طلبة العلم في أثناءِ مجلسِ العلمِ يَتَهَامَسُونَ؛ هذا ليسَ من الأدبِ، لَا بُدَّ من الإنصات في المَجلسِ، أو انْصَرِفْ راشدًا، لا تشغلِ الحضور.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرَّابعة: الفَهمُ:

هل الفهمُ أمرٌ جِبلِّيٌّ أَمْ أمرٌ تَحصِيلِيٌّ؟

نقول: من عوَّدَ نفسَه؛ اعتاد، فالفهم هو أن يدرِكَ المعنىٰ المرادَ، سواءً بدلَالة المَنطُوق، أو بدلالة التَّضَمُّن، أو بدلالة الالْتِزَام، أو بدلالة المفهوم، أو بمفهوم المخالفة، فهناك استيعابٌ بغير الملحوظِ؛ لأنَّ هنا أيضًا صفة الحفظ.

الخامسة: الحفظ:

نَجِد بعض طلَّاب العلم حافظًا، ولكن لا يفهمُ، فلَديْه مَلكَةُ الحفظِ، لكن ملَكَة الفهمِ عنده ضعيفةٌ، وهذه ذكرها النَّبي ﷺ في حديث: «**رُبَّ حاملِ فِقهٍ إلىٰ من هو أفقَهُ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه**»[(١)]؛ لأنَّ الفِقهَ هو الفَهم.

السادسة: الصَّبر:

طالبُ العلمِ يَصبِر علىٰ الطلبِ والتَّحْصِيلِ، يصبر علىٰ أخلاق الزُّملاء وشدَّةِ الشَّيخ، يصبر علىٰ الحرِّ والبرد؛ علىٰ الأجْوَاء؛ فإن كان لا يصبر علىٰ حرِّ الصَّيفِ وبرد الشِّتاء، ويلهيه حُسنُ زمانِ الرَّبيعِ.

والصَّبر معه الفرج، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٣) (٢١٦٣٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠) من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٤).

حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠]، ولذلك أمر الله به أُولي العَزم من الرُّسْل، فأمر نبيه ﷺ، فقال له: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ولذلك، الدَّاعية إلىٰ الله لَا بُدَّ أن يصبر امتثالًا لأمر الله تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧]، فالذي لا يصبر ليس له عَزْم.

فلَا بُدَّ أن تصبر في الطلب، لأنه أحيانًا قد لا تكون الظروف مناسبة، ربما ينطفئ المكيف، ربما تجلس ولا تمشي، رُبَّما الإذاعة تغلق، أو صوت المتكلِّم ضعيف؛ فلَا بُدَّ أن تصبر في السَّماع والقرب حتىٰ تستفيد، فالصبر لا بد منه لطُلَّاب العلم.

السابعة: العمل بالعلم:

وقيل في ذلك:

هَتَـــفَ العِلْـــمُ بَالعَمَـــلِ فَـــإنْ أجَابَـــهُ وإلَّا ارْتَحَـــلْ

وعُوتِبَ، وقيل:

وعَـــالِمٌ بِعِلمِـــهِ لَـــمْ يَعْمَلَـــنْ مُعَـــذَّبٌ مِـــن قِبَـــلِ عُبَّـــادِ الـــوَثَنْ

وثمَرة هذه المَسْموعات وهذه المقروءات أن يعتقدها الإنسان، وأن

يعمل بها، فهو لا يتعلَّم مِن أجْل أنْ يتكَلَّم، إنما يتعلَّم ليعملَ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد:١٩].

العلمُ قبل القولِ والعمل، فإذا تعلَّم قالَ وعمِلَ؛ لِأَنَّ بعضَ النَّاسِ يتكلَّم قبل أنْ يتعلَّم؛ فيأتي بالطَّوامِّ، أو يتعلَّم مِن أجْل أنْ يتكَلَّم، وهذا باب رياءٍ، تعلم لتعملْ؛ لترفعَ الجهلَ عن نفسك، وتتقرب إلىٰ ربك بما يرضيه.

الثامنة: ترك المعاصي والذُّنوب:

فلقد اشتَكَىٰ الشَّافعيُّ إلىٰ شيخِهِ وكيعٍ أنَّ الحفظَ عنده ضعيفٌ؛ قال:

شَكَوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إلَى تَرْكِ المَعَاصِي

وأخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُؤتَاهُ عَاصِي

ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليُحرمُ الرزقَ بالذَّنبِ يصيبُه**»(١).

وأعظمُ الرِّزقِ: أنْ تُرزَقَ عِلمًا نَافِعًا، وأعظمُ الرِّزقِ: أن تُرزَقَ عَمَلًا صَالِحًا، فاللَّهمَّ ارزُقْنا عِلمًا نَافِعًا، وعَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا...، آمين.

التاسعة: الرَّحلةُ فيه:

فإذَا رَحَلَ في تَحصِيلِ العلمِ، اكتَسَبَ مَعَالِيَ، واكتسب فوائدَ، يقول:

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧) (٢٢٤٤٠) من حديث ثوبان، وضعف الألباني ثلثه الأول في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٤٧٣)، وصَحَّح باقي اللَّفظ في «الضعيفة» (١٥٤).

سَـافِرْ تجـدْ عَمَّـن تُفَارِقـه عِوَضًـا ... وَانْـصَبْ فَـإِنَّ لَذِيـذَ العَـيْشِ فِي النَّـصَبِ
إِنِّـي رَأَيْـتُ وُقُـوفَ المَـاءِ يُفْـسِدُه ... إِنْ سَـاحَ طَـابَ، وإِنْ لَـم يَجرِ لَـم يَطِبِ
والأُسْـدُ لَـوْلَا فِـرَاق الغَـابِ مَـا افْتَرَسَـتْ ... والسَّـهْمُ لَـوْلَا فِـرَاق القَـوسِ لَـم يـصِبِ
والشَّمْسُ لَـو وقَفَـتْ فِي الفُلْـكِ دَائِمَـةً ... لمَلَّهَـا النَّـاسُ مِـن عَجَـمٍ ومِـن عَـرَبِ
والتِّبْـرُ كَـالتُّرَاب مُلْقًـى فِي أَمَاكِنِـه ... والعُـودُ ذَاك نَـوعٌ مِـن الخَـشَبِ
فَـإِنْ غَـابَ هَـذَا عَـزَّ مَطْلَبُـهُ ... وإِنْ غَـابَ ذَاكَ عَـزَّ فِـي الطَّلَـبِ

فالرِّحلة في الطَّلب تجعل الإنسان يتعرف علىٰ أشخاصٍ، وعلماء، ومواطِن، وأمور عديدة، وكلُّ العلماء عُرِفَ عنهم ذلك، بل رحَل أنبياء، كرحلة موسىٰ للخضر، ورَحل كذلك الصَّحابة في أحاديث، وهكذا.

فالرِّحلة تُميِّزُ طالبَ العلمِ، ولذلك في التَّراجمِ تجدهم يذكرُون شيوخَهُ، ورحلاته في التَّحصيلِ، ذهبَ إلىٰ كذا، وذهب إلىٰ كذا، ليس من باب التَّكثُّرِ، وإنَّما من باب حرصِهِ علىٰ التَّلقِّي عن أهلِ العلمِ.

العاشرة: تركُ ما يشغل:

رُبَّمَا ينشغلُ في أشياءَ ثانويَّة، أو أشياء جانبيَّة، عليك أن تنشغل بأهمِّ الأمورِ، فتنشغِل بالمهم، ثم ما يليه، فتبدأ بالأمور المهمة، ثم ما يليها.

الحادية عشرة: أن يعتَنِي بمَا يُغنِيه عن أيدي النَّاس وأوساخِ النَّاسِ من الصَّدَقات:

وذلك بكفايته في العِلْم، وأن يكون معه مَصْدَرٌ مالِيٌّ يُغْنِيه، وهذا مهمٌّ، فيغتَنِي عن أوساخ الناس وصدقاتهم.

الثَّانية عشرة: الكتابة:

فلا يَلْتفِت لحفظه، إنَّما يحفظ ويكتب، فهذا ممَّا يميِّزُ طالِبَ العلم أثناء المجلس؛ فكَمْ من شاردةٍ، وفريدةٍ، ولطيفةٍ ونكتةٍ علميَّةٍ غابتْ عن الحضور.

قيل:

العِلْـــمُ صَـــيْدٌ، والكِتَابَـــةُ قَيْـــدُ قَيِّـــدْ صُـــيُودَكَ بالحِبَـــالِ الواثِقَـــة

الثالثة عشرة: الاستِمرارِ في العلمِ:

فإذَا استمرَّ في تحصيلِهِ مَعَ الزَّمَنِ يتحصَّل علىٰ علومٍ كثيرةٍ.

يقول أنس: «لازمتُ النَّبيَّ ﷺ عَشْرَ سنوات»[(١)]، وهو في خدمةِ النَّبي ﷺ، كَم استَفَاد وتعلَّم؟! وهو مِن المُكثرين في الرِّواية، فلا تَقُل: يَكفيني يومٌ، يومان، شهر، شهران، إنَّما استفِدْ، وتعلَّم أشياء كثيرة:

الْيَـــوْمَ عِلْـــمٌ وغَـــدًا مِثْلُـــهُ مِـــن نُخَـــبِ العِلْـــمِ الَّتِـــي تلْـــتقط
يُحَـــصِّل المَـــرءُ بهـــا حِكْمَـــةً وإنَّمـــا الـــسَّيلُ اجتِمَـــاع الـــنُّقَط

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٢٢٠).

هكذا التحصيل العلميُّ مع الزَّمن، فمن رامَ العلمَ جملةً واحدةً؛ ذَهَبَ عنه جملة واحدة، وَلكن إذا استَمَرَّ في تحصِيلِهِ مَعَ الزَّمَنِ لَا يذهب عنه:

عِلْمِـي مَعِـي أَيْنمَـا يَمَّمـتُ يتبعُنـي بَطْنِـي وِعَـاءٌ لـه لا بَطْـنَ صُـنْدُوقِ
إِنْ كُنـتُ فِي البَيْـتِ كَـانَ العِلْـمُ فِيـهِ مَعِي أَوْ كُنتُ فِي السُّوقِ كَانَ العِلْمُ فِي السُّوقِ

فالعلم معه حيثما كان، لا يقول: انتظر، دعني أبحثُ كُتُبِي؛ علمه معه، وهذا مما يميز طالب العلم، وهذه بعض الصفات التي يَنبغي له أن يتحلَّىٰ بها.

نسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يَرزقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

المجلس الثالث

مصادر
وطرق تلقي العلم

المجلس الثالث
مصادر وطرق تلقي العلم

من المصادر التي ينبغي لطالب العلم الحرص عليها:

❐ المُعلِّم الحاذق:

والحرصُ علىٰ المُعلِّمِ الحاذق يكون بأن يستفيد منه مِن خلال طُرق تلقِّي العِلْم: بالمُجَالَسَةِ، والسَّماعِ، والقراءةِ، «**فمَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يفقِّهْهُ في الدِّينِ**»[1]، وهذا الفقه يتلقَّاه عن أهلِهِ.

❐ الاهتمام بالكتاب المُتَمَيِّز:

فينتَقِي الكتابَ الجيِّدَ المَخْدُوم، ويترك منه غرائب المُتُونِ المَهجُورة أو المَتْروكة، فالمتنُ الذي كَثُرَتْ عليه الشُّروحُ قد تَبيَّن ما فيه من خلالِ تدوينِ أهلِ العلمِ وشروح ذلك المتنِ؛ الإشكالُ فيه قد وضحَ، والغريب قد بُيِّن، والمسائلُ الصَّعْبة فيه قد سُهِّلت؛ فهذا يتناوله علىٰ وجه الإسهاب والإطالة،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وذاك قد تَنَاوله علىٰ وجه التوسُّط، وذاك قد تناوله علىٰ وجه الاختصارِ، فهذا كتابٌ مخدومٌ؛ اعتُنِيَ به.

فينبغي أنْ يهْتمَّ بالكتابِ المتميِّز، ويقرؤه علىٰ شيخه.

وفي القراءة على الشُّيوخِ فوائدُ كثيرةٌ جدًّا:

أولاً: تَعلُّمُ الأدب في المجلسِ:

فالمجالسُ فيها سكونٌ وهدوءٌ وطُمَأنِينةٌ، يتحدَّثُ فيها شيخُ المجلس، والجميعُ مُتَأدِّبٌ يستفيد، ففيها الأدب العمَلي، يُرَىٰ منه تَبجِيل الكبيرِ، ويُرىٰ منه العطف علىٰ الصَّغير، ويُرىٰ منه التَّواضع، ويُرىٰ منه المُعَامَلة الحَسَنة إذَا خاطَبَه السَّفيهُ، وإذا قَاطَعَ الجريء، فيُرىٰ منه هذه الأمور، وهذا قد لا يتحصَّلُ من خلال القراءة، بل هذا مما يتمَيَّز به الجلوس عند أهل العلمِ.

فالجلوس عندهم، والتلقِّي عنهم، والقراءة دون واسِطَةٍ- هو الطريقة المُعتَمَد عليها، وهو الطريقةُ التي فعلها الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فتحصَّلوا بها العلمَ بينَ يدي رسولِ اللهِ ﷺ، وهكذا التَّابِعونَ مع الصَّحَابةِ، وهكذا تَابِعُو التَّابِعِينَ مع التَّابعين، هذه هي الطريقةُ، وهو التَّلقِّي علىٰ العلماء.

ذكر الدارِمِيُّ في «سُنَنِهِ» في المُقدِّمةِ من حديثِ سلمان الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بخيرٍ مَا أَخَذَ الآخرُ عن الأوَّلِ، فإذا هلكَ الأوَّل قبل أن**

يأخذَ الآخرُ هَلَكَ النَّاسُ»[(١)].

وهذه مسألةٌ مهمَّةٌ، وهي التَّلقِّي عن العلماءِ، والعنايةُ في النَّسبِ، فإنَّ ما يُميِّزُ أهلَ العلم نَسبهم في العلم، فيسأل عن شيوخِهِ مِمَّن تَلَقَّىٰ؟ فهؤلاء هُمُ الذين يُستَفَادُ منهم؛ لِأَنَّهُم أخذُوا العلمَ مِن أهلِهِ، وسَارُوا علىٰ ذلك الطَّريقِ.

ثانيًا: أخْذ السَّمْت:

والسَّمت بخلافِ الخفَّة؛ فمجلسُ العلمِ بخلاف مجلس النزهة، ولربما رَأىٰ البعض مِن شَيْخِه في النُّزهة شيئًا مِن التبسُّطِ والمزاحِ بخلافِ ما يكون في المجلس العلميِّ، فيظنُّ أنَّ في هذا شيئًا من التَّناقض.

أَتَىٰ أحدُهم عندَ الحَسَنِ وكانَ يُلاطِفُ جُلَسَاءَه، فَلمَّا أتاهم سائلٌ، أحسنَ من هيئتِهِ وجلسَتِهِ، فقال أحدُ السُّذَّجِ مِن الطُّلَّاب: أيعلِّمُنا الشَّيخ الرياءَ؟!

وما علِمَ أنَّ مجلس العلمِ بخِلَاف مجَالسِ التَّبَسُّط والمُحادَثةِ والمُلَاطَفَةِ؛ فمجلس العلم يتعلَّم فيه طالب العلم السَّمتَ.

ثالثًا: كثرة الفوائد:

فكم سمعَ هذا الشَّيخ؟ سمعَ الشيءَ الكثير، ولكنَّه اعتنىٰ بنفسه، فلم

---

(١) أخرج الدارمي في «سننه» (٢٥٥).

يسمعْ إلَّا مِن أجْوَد المشايخ؛ فالأشياخُ ربَّما يكونون كثيرين في زمانِه، فهو لم يسمعْ إلَّا مِن أجودِهم، ولم يكتب مِن هذا الكثير الذي سمعَه إلَّا أجودَه، وقد كتبَ كثيرًا، ولَم يحفظْ من هذا الذي كَتَبَ إلَّا أجْوَدَه، فإذا أرادَ أن يَتَكَلَّمَ مِن محفوظِهِ الكثير سيتكلَّم بأجْوَدِه.

فيتحصَّل لطالبِ العلم من هذا الشَّيخ الذي جلسَ عنده الفائدةُ الغزيرةُ النَّادرةُ التي لو بحث في بطونِ الكُتُبِ، وَجَلَسَ مِن الزَّمنِ وقتًا طويلًا؛ لم يتحصَّل له تلك الفائدةُ التي لم تخرجْ إلَّا بعدَ صبر وبعدَ استقراءٍ، مع ربطٍ واستنتاجٍ، فتأتيك عصارةٌ جاهزةٌ تتحصَّل عليها -يا طالبَ العلمِ- دون مَزيدِ مَشَقَّةٍ ولا عَنَاءٍ.

وهذه العُصَارةُ قد خرجَت مِن خلالِ سبعين عامًا من التَّحصيلِ، أو ربما ستِّين، أو خمسين، أوثلاثين عامًا، فستأتيك هذه الفائدة بنادرةٍ من النَّوادر؛ فاغتنِمها ولا تفُتها.

ومِمَّا يُمَيز مجالس الأشياخِ من حيث الفوائدُ الجمَّة: أنْ يكون الشَّيخ يتحدَّث بالفوائد في قراءة الكتاب، أمَّا في قراءتك وَحْدَك قد يفُوت منك فوائد كثيرة لا تنتبه لها؛ فعليك بِمَجَالِسِ العِلمِ.

رابعًا: حلُّ الإشكالات:

فإذا أشْكلَتْ عليك المسألةُ وأنت في مَجْلس العلم، تستطيعُ أن تعقلَ

وتسألَ، فلا يكون في السؤال مقاطعةٌ، فالنَّبي ﷺ ربَّما يأتيه سائلٌ أثناء حديثِهِ، فلا يجيبُهُ، ولا يلتفت إليه، فَلمَّا يفرغُ من حديثِهِ يقول: «**أَيْنَ السَّائل؟**»[(١)]، ثمَّ يُجيبُه بعد ذلك؛ حتىٰ لا يقطعَ عليه تواصل حديثِهِ.

إذًا، هذا تنبيهٌ لطالبِ العلمِ ألَّا يقطعَ الحديثَ بسؤالٍ؛ بل إذا كان هناك إشكالٌ يكتبُ سؤالَهُ، أو يستأذِنُ بأن يسألَ مُشَافهةً.

وقيل: مَن لا يستشكِلُ لا يَعْقِلُ.

وأمَّا بعضُ النَّاس ربما تمرُّ المسألةُ وقد حصل فيها من الإشكال ما لا يستطيع ضبطه، ولكن قد لا يقول: ما فهمت، يقول: نعم، يستزيدُ وهو لم يقلْ ما قد استشكلَ، فتذهبُ المسألة بإشكالِها، ولم يَسْعَ في حلِّها وهو في مجلسِ العلمِ.

خامسًا: الحصول على الجوابِ عن السُّؤالِ:

وهذا بخلافِ التَّفرُّد بقراءة الكتابِ، فلا تجدُ الجوابَ عن السُّؤالِ، ولا حلَّ الإشكالِ، فالكتب طريقةٌ من التحصيل العلميِّ؛ لكن لا تُتَعلَّمُ منها الأمورُ التي مَرَّت بنا: (الأدبُ، والسمتُ، وحلُّ الإشكالِ)، وهكذا.

سادسًا: حضور الذِّهن، واستشعار الهيبة والوقار:

(١) أخرجه البخاري (٥٩).

فلربما تقرأ الكتاب وأنت مُستلقٍ أو متخفِّفٌ من اللباس، أمَّا مجلس العلم ففيه هيبةٌ ووقارٌ؛ فيُكسِبكَ مَزِيدًا مِنَ الهَيبةِ والوَقَارِ.

سابعًا: عُلُوُّ السَّنَدِ:

فتأخذ مِن الشَّيخ مباشرةً، وليس بواسطةٍ في مجلسِ العلمِ.

ثامنًا: دعاءُ الملائكةِ:

كما في الأحاديثِ التي مَرَّت بِنَا، أنَّ المَلَائكة تلتمس حِلَق الذِّكرِ: كما قال ﷺ: «**إنَّ للهِ ملائكةً طوَّافةً بالأرضِ يلتمِسون مجالسَ العلمِ**»(١)، وقال أيضًا: «**مَا اجتَمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلُونَ كتابَ الله، ويتدارسُونه فيمَا بينهم إلَّا نَزَلَت عليهِمُ السَّكينةُ، وَغَشِيَتهُمُ الرَّحمةُ**»(٢).

هل تُريدُ رحمةَ اللهِ؟ فاجْلِسْ في مجالسِ العِلمِ، وفيها الطُّمَأنينةُ، وفيها المُبَاهَاةُ، فاللهَ -تَبَارَكَ وتعالىٰ- يذكُرُهم فيمَن عندَه، في مَجَالسِ العِلمِ مغفرةُ الذُّنوبِ، وضمان الجنة، وفرارٌ مِن النَّار؛ لأنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- يقول لِمَلَائكتِهِ:

«**وَمَا يَسألُون؟ قالوا: يسألونَكَ جنَّتك. قال: وممَّ يستعيذُون؟ قالوا: من**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٥٩) (٨٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نَارِك. قال: أُشهِدُكم يا مَلَائكَتِي أَنِّي آتيتُهم ما سألُوا، وأَجرتُهُم ممَّا استَجَارُوا، قُومُوا مغفورًا لكُم قَد بَدَّلتُ سَيِّئَاتِكُم حسنَاتٍ، فَيقُولُ مَلَكٌ من الملائكةِ: أي ربِّ، هذا فلانٌ ما أتىٰ إلَّا لحاجةٍ. قال: هُمُ القومُ لا يشقَىٰ بهم جليسُهم، وله قد غَفَرتُ»(١).

إذًا، كلُّ الخير في مجالسِ العلمِ، فَينبغِي أَلَّا تفوتك حلقةٌ مِن حَلَقَاتِ العلمِ، ولا مَجلسٌ من مَجالسِ العلم، «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذكر اللهِ وما والَاه، وعَالِمٌ، أو مُتَعَلِّمٌ**»(٢)، فهذه الدُّنيا وما فيها، عليك أنْ تَحذرَه.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحَسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٣٢٠).

أمَّا رؤوس هذه المَجَالس: العُلمَاء، مَن هم العُلَماء الذين يُجلسُ لهم؟ هل لهم زِيٌّ مُعَيَّنٌ، هيئةٌ مُعَينةٌ؟

العُلمَاء: هم الَّذِين يعلِّمون النَّاس صغارَ العلم قبل كبارِهِ.

أتىٰ أحدُهم في مجلس أحد العلماء، فقال: ما تقولُ في الطَّهارة من ماء الباقلَّاء؟

قال: لا يكون.

قال: ومِن ماءِ الوَرْدِ؟

قال: لا أرىٰ ذلك.

فَسَأَلَ أسئلةً، ثم انصرفَ.

فقال: يا هذا، ماذا تقول إذا دخلتَ المسجد؟ فَسَكَتَ الرَّجُل.

قال: ماذا تقول إذا خرجتَ من المسجد؟ فَسَكَتَ أيضًا.

قال: ماذَا تقول إذا خرجتَ من المسجد؟ والرَّجل ما زال ساكتًا.

قال: تعلَّم هذا، ثُم اسألْ عن ذاك.

أيْ: تعلَّم العلمَ الذي تعمَل به، ودَع عنكَ الغَرَائِبَ في المسائلِ التي لا يُعملُ بها، وربَّما تَمُرُّ كنادرةٍ، فاعرفْ ما ينفعُك، اعرفْ ما يقوم به قيام أمرِك،

هكذا يُعرَفُ أهلُ العلم بِأنَّهم يُعلِّمون صغارَ العلم قبل كبارِهِ، وهذا هو العالمُ الرَّبَّانِي.

قال ابنُ عبَّاس: «هم الذين يُعلمون بصغارِ العلمِ قبل كبارِهِ»[(١)]، أي: يَبتدئُ في التعليمِ بما يجبُ علىٰ المُكَلَّفِ معرفتُهُ، فيعلِّمُونَهُمُ العقيدةَ، يعلِّمُونهم التوحيدَ، ويحذِّرُونهم مِنَ الشِّركِ؛ لأنَّ العالِمَ داعيةُ التَّوحيدِ، هو الذي يحذِّرُ من الشِّرك، العالِم هو الذي يدعو إلىٰ السُّنَّة، ويحذِّرُ من البدعة، يأمرُ بالطَّاعةِ، ويحذِّرُ مِنَ المنكرِ والمعصيةِ، يجمعُ النَّاسَ علىٰ وُلَاةِ الأمرِ، ولا يُفَرِّقُ النَّاسَ، يدعو إلىٰ ما أَمَرَ اللهُ به، لا إلىٰ الأهواءِ وإلىٰ الآراءِ، وهو صاحبُ هدًىٰ، وليس صاحبَ هوًىٰ، هو قائمٌ بأمر الله علىٰ نورٍ من الله، يدعو لِمَا يُرضِي الله.

وأمَّا مَن يَتَزَيُّونَ بِزِيِّ العلماءِ، ويَبُثُّونَ في النَّاس الشِّركَ، ويبثُّونَ في النَّاس البِدَعَ، أو يُرخِّصونَ للنَّاسِ في المُحَرَّمَاتِ، أو يُوقِعُونَهم في فعلِ الخَوَارِجِ، ويرونَ تَفَرُّقَ النَّاسِ، ويُوقِعُونَهم في غيرِ الأدلَّةِ، ولا يستَنِدونَ إلَّا علىٰ ما لا يُعتمدُ عليه من قصصٍ، أو خُرَافَاتٍ، أو مَنَامَاتٍ، أو أحاديثَ باطلةٍ.

فمن يفعلْ ذلك فليس بعالمٍ، إنَّما العالمُ الذي تعتني به، سواء في

---

(١) أورده البخاري في «صحيحه» تعليقًا (١/ ٢٤)، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

العقيدةِ، سواء في الأحكامِ، سواء في الدَّعوةِ إلىٰ الله وما يتعلَّق بهذه الأمورِ أجمع، فمَشَاربُ الناسِ اختلَفَتْ، من قديمٍ وفي الحاضرِ.

فكثيرٌ الذين خَالَفُوا في العَقَائد؛ في ذات الله، وفي أسمائه، وفي صفاته، في القرآن، في اليوم الآخر، في النَّبي ﷺ، في المعادِ، في كلِّ هذه الأمورِ وقعُوا في الانحرافاتِ وفي المخالفاتِ، ولا يَزالُ أهلُ الحقِّ يَرُدُّونَ علىٰ هؤلاء، ويُبَيِّنونَ للنَّاسِ ما هُم فيه مِن مُخَالَفَةٍ، فكم كشفُوا زيغَهم، وكم بَيَّتُوا أمرَهم، وكم ردُّوا عليهم بالكُتُبِ!

إذًا، مثلُ هؤلاء تعتَنِي بهم، بِمَن صَحَّت عقيدتُهم؛ لأنَّ هناك مَن انحرف في عقيدته، في الأسماء والصفات، في توحيد العبادة، في الاستغاثة بغير الله، وهكذا في كثير من المسائل.

فاعْتَنِ بالبحث عمَّن تأخذ العلم عنه، «إنَّ هذا العلم دينٌ؛ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[(١)]، فالسُّؤال عن الشَّيخ أمرٌ مُهمٌّ.

يقول الإمام مالكٌ: «لا يُؤخذُ العِلمُ من أربعةٍ»[(٢)]، ثم ذَكَرَ السَّفيهَ، وصاحبَ الهَوَىٰ الدَّاعي له، ثُمَّ ذكَرَ الكَذَّاب، ثمَّ ذَكَرَ الصَّالِحَ العَابدَ الذي لا يَعرف ما يُحَدِّث.

---

(١) أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه»، من قول محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٣٤).

بل بعضُ الصَّحابةِ كان يَسألُهُم التَّابعون:

فهذا عبدُ الرَّحمن بنُ يزيد النَّخَعِيُّ، يقول: سَألنا حُذيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجلٍ قريبِ السَّمتِ والهَدي مِن النَّبيِّ ﷺ حتىٰ نَأخُذَ عنه، فقال: «ما أحدٌ أقرب سَمْتًا وهَدْيًا ودلًّا بالنَّبيِّ ﷺ من ابنِ أمِّ عبدٍ»، أخرجه البخاري(١).

يقول ابنُ مَهْديٍّ: «لا يُؤخذُ العلمُ عن ثلاثةٍ: المُتَّهَمِ بالكَذِبِ، وصاحبِ بدعةٍ يدعو إلىٰ بدعتِهِ، والرَّجلِ الغالب عليه الوَهْمُ والغَلَطُ»(٢).

فالصَّالحُ الغَافِلُ الذي لا يَدري ما يحدِّثُ به، اتْرُكْه، وعليك بالمعلِّمِ الحاذقِ الذي يعرف ما يقول.

فالتلقِّي عن أهل العلمِ أمرٌ عظيمٌ بخلافِ من يترك ذلك:

فَـإِذَا رُمْـتَ العُلُـومَ بِغَيْـرِ شَـيْخٍ ضَـلَلْتَ عَـنِ الـصِّرَاطِ المُـسْتَقِيمِ

وقيل:

مَـنْ لا يُـشَافِهُ عَالِمًـا بأصُـولِهِ فيَقِينُـه في المُـشْكِلَاتِ ظُنُـونُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٢).

و«**السَّمْت**»: الهيئة الحَسَنة.

و«**الهَدْي**»: الطَّرِيقة والمَذهب.

و«**الدَّلُّ**»: الشَّكل والشمائل، مَأخوذ مِمَّا يدلُّ ظَاهر حاله علىٰ حُسن فِعَاله.

و«**ابن أُمِّ عَبد**»: هو عَبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه العُقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٠) (٨).

فالمُشكلات يتكلَّم فيها بالظُّنون، لا باليقينِ؛ لأنَّها لا تزالُ مُشْكِلَة، هذه عنايتُهم في التَّلقِّي، فكانوا يحرصُون علىٰ مَن يَتَلَقُّون، وعمَّن يأخذون.

مرَّ بنا أنَّ من مصادر التَّلقِّي ثلاثةً: وهي المُجَالَسَةُ، والسَّماعُ، والقراءةُ.

فَمَنْ جَلَسَ جُلِس له، ومن تكلَّم سُمع له، ومن كتب قُرئ له، أيًّا كان، صاحب شهوةٍ، صاحب شُبهةٍ، داعي حق، فالعلومُ المكتسَبة إمَّا بسماعٍ، أو بقراءةٍ، أو بمجالسةٍ، وهذه المصادر الثلاثة تؤثِّر في النَّاس.

الشَّهواتُ هي: ميلُ النُّفوسِ ورَغَبَاتُها بتجاوزِ ما حدَّ لها الشَّارعُ.

مثل: النَّظرُ الحرام للنِّسَاء؛ كالنظر إلىٰ النساء المُتبرجات، أو غير ذلك، كذلك السَّماع المحرم... إلخ.

والشَّهوةُ أمرٌ جِبِلِّيٌّ، خِلقةٌ فينا معشرَ بني آدمَ.

إننا نشتهي سواء مشروب، مطعوم، منكوح، تَمَلُّك، ولكن ثَمَّةَ شهواتٍ مسموحةٍ، وأخرىٰ ممنوعة.

فأمَّا الشَّهواتُ المَسمُوحةُ، فليس فيها شيءٌ، إنَّما الحذَرُ من الشهواتِ الممنوعةِ، ولا مانع من الشهوات المسموحة إلَّا أنَّ فيها تنبيهًا بعدم الإغراق في المباح.

إذًا، هذه هي الشَّهوات، وهناك أهل الشهوات، جالسهم، وسمع لهم،

وقرأ لهم، ولكن هل لأهل الشهوات كُتب؟

نعم، كُتُبُ المُجونِ، ومجلَّات الخلاعةِ والتَّفسُّخِ والانحرافِ، يكتبون، ويُقرأ لهم، ويقولون ويُسمعُ لهم، ما بين مزمارٍ، وما بين غناءٍ، وما بين مُحَرَّماتِ الكلامِ.

الشُّبهات: وهي ما يتعلَّق بعقائدِ النَّاس بمَا لم يأتِ في كتابٍ، ولا سُنَّةٍ.

ونحن في عصرٍ كَثُرَت وانتشرت جميعُ وسائلِ التوجيهِ والإرشادِ ما بين شهوةٍ وشبهةٍ، أو مجالسة لهم، بمجالسة أهل البدعِ.

أهلُ الحقِّ: الذين ساروا علىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ، وعلىٰ فهمِ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما قال النَّبيُّ ﷺ في حديثِ الافتراق: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثلَاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»(١).

هل سألوا عن الثَّلاثِ والسَّبعين، ما صفاتُها...، أو شيءٌ من ذلك؟ بالطبع لا؛ فاعرف الحقَّ تعرف أهلَه، فهُم سألوا عن صفات الحق وأهله، أمَّا الباطل فليس له حدٌّ.

قالوا: مَن هي؟ اكشفْها لنا، جلِّها لنا، وضِّحْها لنا، قال: «**مَن كانَ علىٰ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

مثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابِي»، يعني: إسلام ذلك اليوم ليس إسلامَ هذَا اليومِ، إسلامُ اليومِ مليءٌ بالبدعِ والضَّلالاتِ والانْحِرَافاتِ المخالفةِ للكتابِ والسُّنَّةِ، ولكنَّ إسلامَ ذلك اليوم هو ما عليه مُحَمَّد ﷺ وأصحابُه.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمُ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

أن يكون علىٰ ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه (السَّلف الصَّالح)، يخطو علىٰ خُطاهم، ويسير خلفَهم؛ ينجو بإذن الله.

هل لهم كُتُبٌ؟

نعم، كتب السُّنَّةِ كثيرةٌ، مثل: «البخاري»، و«مسلم»، و«الترمذي»، و«النسائي»، و«ابن ماجه»، و«مسند الإمام أحمد»، والدَّواوِين، والمَسَانيد، والمجَامع، وكتُب الأئمَّة الأربعة ومَن بعدهم، وكل كتابٍ قام علىٰ: «قال الله، قال رسول الله».

❐ بين مجالسة أهل العقيدة الصحيحة وأهل الشهوات والبدع:

وهنا يختلف النَّاسُ: فمن جَلَسَ لأهل الشَّهوات، وقرأ لهم، وسَمِعهم، ما هي إلَّا أيامٌ فإذا به شهوانيٌّ مع أهل الشَّهواتِ، عاصٍ مع العُصاة؛ لأنَّه معهم، ومن جَلس جُلِسَ له، فلو أنَّ مجْنُونًا جلس يتكلم لرُبَّما استمع النَّاسُ له، ورُبَّما تجدُ من يقول: خُذوا الحكمةَ من أفواه المَجَانِين.

والآن يأتون بحجرٍ قد كُتبَ عليه مثلًا منذ ألف سنة، فيُريدُون أنْ يقرؤوا هذا المكتوبَ، فهذا حجرٌ كسائر الأحجار، لكنِ ارتفعتْ فيه الأسعارُ لِمَا فيه من هذه الكتابةِ ذات القيمة.

إذًا، مَنْ كَتَبَ قُرِئ له.

لكن... ليتَ شِعْري مَن المُجَالَسُ؟! ومَن المَسْموع له؟! ومَن المَقْرُوء له؟!

فإنْ كان يُجالَسُ أهل الشُّبهات، ويُقرأُ لهم، ويُسمعُ لهم، ما هي إلَّا أيام؛ فإذا به مع أهلِ الشُّبُهاتِ، بِدعيٌّ مع أهلِ البِدعِ.

وإن كان يقرأ للسَّلفِ ويُجَالِسُهم ويسمعهم، ما هي إلَّا أيَّامٌ؛ فإذا به سُنِّيٌّ أَثَرِيٌّ سَلَفِيٌّ علىٰ الجَادَّةِ استقامَ، لا يرضىٰ إلا بما عليه مُحَمَّد ﷺ وأصحابه، مهما كان من تَكَلَّمَ، يلتمس الدليل، ويعتني بالحُجَّة.

فهذا الذي ينبغي أن يُعتنى به حتى يُجلسَ بين يَديهِ فيُتَلَقَّى العلمُ عليه.

أمَّا مِن الشَّبابِ ممن يُجالسُ أهلَ البِدَعِ، وربَّما يقرأ لأهل العلم ويسمع لهم، ولكن أُتِيَ مِن المجالسة، وربَّما بعضُهم لا يُجالس ولا يسمع، لكن أُتِي من القراءة، فيخرجُ هذا الشابُّ، وقد اضطرَبَتْ عليه الأمورُ، ربَّما يجالسُ أهلَ الشَّهوات، ربَّما يكونُ عنده شيءٌ من سماعِ المزاميرِ، فيأتيه؛ فإذا به

خليطٌ ما بين شهوةٍ وشبهةٍ، وعنده شيءٌ من الحقِّ، وهذا ما يُسمَّىٰ بالمُتَسَاهِلِ، أو المُتَلَوِّنِ، أو المُتَمَيِّعِ، أو المُختَلِطِ، أو المضطربِ، أو المتنوِّعِ، وهكذا أسماءٌ كثيرةٌ.

فعليك بالصَّفاءِ والنقاءِ حتىٰ تُوفَّقَ وتكونَ في الحياةِ سعيدًا مُطمَئِنًّا، أمَّا ما يكونُ مِن حيرةٍ واضطرابٍ بسبب هذه الأمور؛ فاترُك.

لذلك، اعتنى السَّلَفُ بهذا الأمرِ؛ فقد حذَّر ابن عبَّاس من ذلك، فقال: «إيَّاكم ومُجَالسةَ أهلِ البدعِ».

وأيضًا يقول أبو قلابة: «لا تُجَالِسُوا أهلَ البِدَعِ؛ فإنَّها مُمرضةٌ للقلوبِ، إني أخشىٰ أن يغمِسُوكم في ضلالهم، أو أن يُلبِسُوا عليكم ما عندكم مِن حقٍّ»[(١)].

الإناءُ إذا نُوِّعَتِ المصادرُ فيه تَكَدَّرَ، وإذا صَفَتِ المصادرُ فيه صَفَا، فليس فيه إلا سماعُ الحقِّ، ومجالسة الحقِّ، وقراءة الحقِّ، مليءٌ بالخيرِ والحقِّ.

وإنَّ الفِتَنَ -كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**تُعرَضُ الفِتَنُ علىٰ القلوبِ عَرضَ الحصيرِ عودًا عودًا، فَمَن أنكرَها نُكِتَتْ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتىٰ يصبحَ أبيضَ كالصَّفَا، لا تضرُّه فتنةٌ ما دامتِ السَّماواتُ والأرضُ، وإذا أُشرِبها نُكِتَ فيه**

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٣٧) (٩٩)، و«الشريعة» للآجري (١/ ١٢٥) (١١١).

نُكتَةٌ سوداءُ، حتىٰ يُصبِحَ أسودَ مربَادًّا كالكوز مُجَخِّيًا[(١)]**، لا يعرف معرُوفًا، ولا يُنكرُ مُنكرًا، إلا ما أُشرِبَ من هَوَاه»**[(٢)]، لَا لِأَنَّه هُدًىٰ، بل لِأَنَّه وافقَ هوًىٰ في نفسِهِ.

إذًا، هذه ثلاثةُ أمورٍ مُهمَّةٌ، وأنتقلُ إلىٰ الثلاث الأخرىٰ.

فالثَّلاثُ: مجالسةٌ، وسماعٌ، وقراءةٌ؛ **بثلاثٍ:** شهواتٍ، شبهاتٍ، ينبوع الحق، وهو الخير.

الثَّلاث التي حَصَلَ فيها كثيرٌ من الخلاف:

١- أمورُ العقيدة.

٢- أمورُ التَّعصُّب للمَذَاهبِ.

٣- أمورُ التَّعصُّب للمَناهج الدَّعوية.

والسُّؤال الذي يُثارُ هنا: ما المطلوب من طالب العلم تجاه هذه القضايا؟

والجواب: العناية بالصفاء في مسألة العقيدة، فأهل العلم يردُّون علىٰ أهل

---

(١) **المرباد**: الذي في لَونه ربدة، وهي لون بين السواد والغبرة؛ كلون النَّعامة.
وقوله: «**كالكوز مجخيًا**»: المُجخي المَائل، ويقال منه: جَخىٰ الليل إذا مَال ليذهب.
والمعنىٰ: مائلًا عن الاستقامة مَنكوسًا. «كشف المُشكل من حديث الصَّحيحين» لابن الجوزي (١/ ٢٥٩)، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الباطل مِن كتاب العزيز الحكيم؛ فالقرآنُ مليءٌ بالردِّ علىٰ اليهودِ والنَّصارىٰ، والردُّ منهجٌ شرعيٌّ علىٰ من يخالف الحقَّ، فمن خالفَ يُردُّ عليه، ويُتوعَّدُ ويتهدد، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

والرَّسول ﷺ يُحَذِّر زوجَه عائشةَ رضي الله عنها يقول: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

والآن يقولون لك: لا تُحَذِّر، فأنت تُنفِّر؛ هذا غلط!

ونقول: أنت تُحَذِّرُ حِمَايةً، وشَريعةً، وديانةً، ليس لغَرضِ الأشخاص، ليكن مَن يَكُون، وإن كان أخًا شَقِيقًا، فالدِّين ليس فيه مُحَابَاةٌ.

ولذلك قال نوحٌ في ابنه: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥]، فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦].

ماذا حصل بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه؟ حصلت أمورٌ عظيمةٌ إلىٰ أن كانتِ المفاصَلَةُ، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة:٤].

فمسائلُ العقيدةِ ليْسَتْ فيها مُسَاومةٌ، فالنَّبيُّ ﷺ يُنكر على الفورِ، فمُسلِمُو الفتح كانوا حديثي عهدٍ بالإسلام، قال أحدهم: يا رسولَ الله، اجعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ. قال: «**الله أكبر! إنَّها السُّننُ، قلتم- والذي نفسي بيدِهِ- كما قال قوم موسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]**»[(١)]، ولم يَقُل: إذا رَجَعْنا إلىٰ المَدِينَةِ سيكونُ البيانُ، بل البيانُ في الحال.

وتأتي الوفودُ، والوفودُ لها تقديرُها، ولكنَّ العقيدةَ مقدَّمةٌ، فيقوم خطيبٌ بين يديه ويقول: «مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فقد رَشَدَ، وَمن يَعْصِهِما فقد غَوَىٰ»، قال: «**بِئسَ الخَطِيبُ أنْتَ! قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسُولَه؟**»[(٢)].

الحبيبُ ﷺ الهيِّن اللَّيِّن الذي قال الله فيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] يقول لهذا الخَطيب هذا، وهذه ليست شدَّةً في المُعاملةِ، ولكنَّها حكمةٌ في النَّصيحةِ، فرُبَّما تكونُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

الشِّدَّةُ حِكمةً، وربَّما يكونُ تأخيرُ البيان حكمةً، وربَّما يكون اللِّينُ في الطرحِ حكمةً، الذي نَزَعَ الخَاتمَ من يدِهِ ثُم رَمَاه، قال: «**يَعْمَدُ أحدُكم أن يَجعَلَ في يَدَيهِ جمرةً من نارٍ**»(١)، هذه ليست شدَّةٌ، هذه حكمتُهُ ﷺ، هو الذي آتاه اللهُ الحكمةَ والرحمَةَ.

أيضًا يبولُ الرجلُ في المَسجِدِ فينكرُ علىٰ من يريدون أن يُنكِروا عليه المُنكر، فيقول: «**مَه، ذرُوا الرجلَ لِيُكمِلَ بَولَتَه**»، ثم يناديه فيقول: «**إنَّ المساجِدَ ما بُنِيَتْ لهذا**»(٢)، فليس في مسائلِ العقيدةِ تأخير بيانٍ.

حتىٰ في المسائل الفقهية، نجد أنَّ هناك رُدودًا لأهل العلم في مسائل الفقه، ولذلك تجدُ من العلماءِ من له قوَّة في المسائلِ الفقهيَّة بالدَّليل، وقوَّة في المسائل العقديَّة بالدَّليل، ولكن في هذه المسائلِ يضعُف، ومنهم مَنْ له قوَّةٌ في المسائل العقديَّة، ولكن في المسائل الفقهيَّة يضعُف، ومنهم من له عنايةٌ في المسائل الفقهيَّة ويعتني بالدَّليل، وفي المسائل الدَّعويَّةِ ويعتني بالدَّليل، وفي المسائل الفقهيَّة الشرعيَّة ويعتني بالدَّليل، وهنا طالبُ العلمِ ينبغي أن يعتنيَ بالمعلِّم الحاذقِ حتىٰ يستفيدَ.

هذه بعضُ الأمور المُتعلِّقة عمَّن يُؤخَذ العلم، وما يتعلَّق في تحصيلِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٠)، ومسلم (٢٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

المجلس الرابع

أنموذج
للمتابعة والعناية بها

المجلس الرابع
أنموذج للمتابعة والعناية بها

هذا أُنموذَجٍ عن المُتَابعةِ والعنايةِ بها في هذا المجلس من مُقَدِّمة الشَّيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**صفة صلاة النَّبيِّ ﷺ**»، وهي مقدِّمةٌ رائعةٌ دوَّنها قبل ستِّين سنة؛ **حيث قال المُحَدِّثُ الإمام مُحَمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صفةِ صلاةِ النَّبيِّ ﷺ»:**

«منهج الكتاب:

ولَمَّا كان موضوعُ الكتابِ: إنَّما هو بيانُ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ، كان من البَدَهِيِّ أَلَّا أَتَقَيَّدَ فيه بِمَذهبٍ مُعَيَّنٍ».

فبَدَأ بالقول بأنْ ليس له مذهبٌ معيَّنٌ يَقْتَدِي به في هذا الكتاب، إنَّما مُستَنَدُهُ الكتابُ والسُّنَّة مع الاستئناس بأقوال أهل العلم.

«للسَّببِ الذي مرَّ ذِكْرُهُ، وإنَّما أُورِد فيه ما ثَبتَ عنه ﷺ كَمَا هو مذهبُ المُحدِّثِين قديمًا وحديثًا».

يعني: طريقتَه في التَّأليفِ أنِّي سأعتَنِي بالأدلَّةِ علىٰ طريقَةِ الأوَّلينَ، يعني: قبلَ المَذَاهب الأربعة كيف كان النَّاس؟ كانوا علىٰ الأدلَّة، فعندما يقال: لا يمكن إلَّا أن يتمَذهبَ، نقول: كيف قبل المذهبِ؟ عندما يلزم الناس بالتَّمذهبِ، نقول: كيف هُم قبل المذاهبِ؟ إذًا نقول: الكتاب والسُّنة علىٰ فهم السَّلف الصَّالح.

«وقد أحسن من قال:

أَهْـلُ الحَـدِيثِ هُـمْ أهْـلُ النَّبـيِّ وإنْ لَـمْ يَـصْحَبُوا نَفْـسَه أَنْفَاسَـه صَـحِبُوا

وَلِذَلِكَ فإنَّ الكتابَ سيكون -إن شاء الله تعالىٰ- جَامِعًا لشَتاتِ ما تفرَّق في بطونِ كتبِ الحديثِ والفقهِ علىٰ اختلافِ المذاهبِ ممَّا له علاقةٌ بموضوعِهِ».

يقصد أنه سيختارُ ما وافقَ الدَّليل، بغض النظر عمَّن قال به، فلم يجعل هناك مَذهبًا مُعتَمَدًا، إنَّما مَن تُعَضِّده الأدلَّة.

«وسيكون العاملُ به -إن شاء الله- ممَّن قد هداه الله لِمَا اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه؛ لِأَنِّي بنيتُه علىٰ الدَّليل، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ [النور:٤٦]».

آمين، اللَّهم اجعلنا مع من هَدَيتَ، واهدِنا فيمن هَدَيتَ.

«ثم إنِّي حين وضعتُ هذا المنهجَ لنفسي، وهو التَّمسُّكُ بالسُّنَّةِ الصحيحةِ، وجريتُ عليه في هذا الكتابِ وغيرِهِ ممَّا سوف ينتشرُ بينَ النَّاس إن شاء الله تعالىٰ، كنتُ علىٰ علمٍ أنَّه سوف لا يرضي ذلك كل الطَّوائفِ والمذاهبِ»:

فصحيحٌ أنَّ إرضاء النَّاس غايةٌ لا تُدرَك، وهي غيرُ مطلوبةٍ، وإرضاءُ اللهِ غايةٌ تدركُ وهي مطلوبةٌ، وهذا الذي يجعله لا يلتفت لناقدٍ بغير حقٍّ، أو حاقدٍ لا يريد أن ينتشر الحقُّ في الناس، وهؤلاء ما بين مُخذِلٍ وما بين مُظهِرٍ العَدَاوة.

«بل سوف يوجِّه بعضهم -أو كثير منهم- ألسنةَ الطعن، وأقلامَ اللَّوم إليَّ، ولا بأسَ من ذلك علَيَّ».

هذا من بابِ تَوطِينِ النَّفس في تحمُّل أذىٰ المخالِفِ، وهذه طريقة الأوَّلين؛ فالنَّبيُّ ﷺ مع أصحابِهِ: «**صبرًا يا آلَ ياسرٍ، إنَّ مَوعدكم الجَنَّة**»، وهكذا بعضُهم يُثبتُ بعضًا، والموعدُ الآخرةُ، وابنُ القَيِّمِ له كلامٌ جميلٌ في الغُربَةِ إلىٰ أن قال: «فليوطِّن نفسَه علىٰ أن تُقالَ فيه الغرائبُ، وتُنشَر عنه الشنائعُ، ويقالُ فيه ما ليس فيه»[(١)]، أو كلامًا نحو هذا.

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ١٩٩).

«فإنِّي أعلم أيضًا أنَّ إرضاءَ الناس غايةٌ لا تُدرَك، وأنَّ «**من أرضىٰ النَّاسَ بسَخَطِ اللهِ؛ وَكلَهُ اللهُ إلىٰ النَّاس**»، كما قال رسول الله ﷺ(١)، ولله درُّ من قال:

وَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةِ طَاعِنٍ وَلَوْ كُنتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبلٍ وَعر

يعني لو كان في غارٍ علىٰ جبلٍ وعرٍ، فستتكلَّمُ النَّاسُ عنه أيضا، وسيقولون: وما الذي جعله يذهب إلىٰ الغار؟ وماذا؟ وماذا؟ فالناس لا يسلم منهم أحدٌ:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِن النَّاسِ سَالِمًا وَلَوْ غَابَ عَنْهُم بَين خَافِيَتي نسرِ

مهما اختفىٰ الإنسان عن النَّاس؛ لا تتركُهُ الناسُ.

«فحسبي أنَّني معتقِدٌ أنَّ ذلك هو الطريقُ الأقومُ الذي أمرَ اللهُ تعالىٰ به المؤمنين، وبينه نبينا مُحَمَّد سيِّد المُرسَلين، وهو الذي سَلَكَهُ السَّلفُ الصَّالحُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ ومن بعدهم، وفيهمُ الأئِمَّةُ الأربعةُ الذين ينتمي اليوم إلىٰ مذاهبهم جمهورُ المسلمين، وكلُّهم مُتَّفِقٌ علىٰ وُجُوبِ التَّمسُّكِ بالسُّنَّةِ، والرجوّع إليها، وترك كلِّ قولٍ يخالِفُها»، يعني: الأئمَّة الأربعة.

«مهما كان القائلُ عظيمًا؛ فإنَّ شأنَه ﷺ أعظمُ، وسبيلهُ أقومُ، ولذلك فإنِّي اقْتَدَيتُ بِهُدَاهُم، واقتفيتُ آثارَهم، وتَبِعْتُ أوامرَهم بالتَّمسُّكِ بالحديثِ».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) من حديث عائشة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

يعني: أنا في طريقتي هذه لستُ مُبتَدِعًا طريقةً جديدةً، بل هذا هو قولُ الأئمَّةِ الأربعةِ، فكلُّهم جَعل الدَّليل هو اعتمادُه، وسيُوردُ الآن جُملةً من الأدلَّة.

«وتبعت أوامرَهم بالتَّمسُّكِ بالحديثِ، وإن خالَفَ أقوالَهم، ولقد كان لهذه الأوامرِ أكبرُ الأثرِ في نَهجِي هذا النَّهجَ المستقيمَ، وإعراضي عن التَّقليدِ الأعمىٰ، فجزاهم الله تعالىٰ عنِّي خيرًا».

«أقوال الأئمَّةِ في اتِّباعِ السُّنَّة، وتَرْك أقوالهم المخالِفَةِ لها:

ومِن المُفيدِ أن نسوقَ هنا ما وقَفْنا عليه منها أو بعضها، لعلَّ فيها عظةً وذكرىٰ لمن يُقَلِّدُهم، بل يُقلِّد مَنْ دونهم بدرجاتٍ تقليدًا أعمىٰ، ويَتَمَسَّكُ بِمَذَاهِبِهم وأقوالِهم كَمَا لو كانت نَزَلَت مِنَ السَّمَاءِ».

فعلًا، بعضُ النَّاس يجعلُ يعني كلامَ المذهبِ مُقدَّمًا علىٰ الأدلَّةِ، والحقُّ فيه تقديمُ الأدلَّةُ، فأقوالُ العلماءِ يُحتَجُّ لَهَا، وَلَا يُحتَجُّ بها، ليس كما يقول ذلك الذي قال: كلُّ آيةٍ في كتابِ اللهِ أو حديثٍ عن رسول اللهِ لا يوافقُ مذهبنا، فالآيةُ منسوخةٌ، والحديث ضعيفٌ، فجعل المذهبَ هو الأصيلُ، وهذا غلطٌ.

«والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣]».

أولا: أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأوَّلُهم الإمامُ أبو حنيفةَ النُّعمان بن ثابت رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روىٰ عنه أصحابُه أقوالًا شتَّىٰ، وعباراتٍ مُتَنَوِّعة، كلُّها تُؤدِّي إلىٰ شيءٍ واحدٍ، وهو وجوبُ الأخذِ بالحديثِ وتَرْك تقليد آراءِ الأئمَّةِ المُخالفة له:

١- «**إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي**».

٢- «**لا يحلُّ لأحدٍ أن يأخذَ بقولنا ما لم يعلمْ من أين أخَذْنَاه**».

وفي روايةٍ: «حرامٌ علىٰ من لا يعلمُ دليلي أن يُفتِيَ بِكَلامِي»، زاد في رواية: «فإنَّنا بشرٌ، نقولُ القول اليوم ونرجع عنه غدًا»، وفي أخرىٰ: «ويْحَك يا يعقوبُ -هو أبو يوسف- لا تكتبْ كلَّ ما تسمع منِّي، فإنِّي قد أرىٰ الرَّأي اليومَ، وأتركُهُ غدًا، وأَرَىٰ الرَّأيَ غَدًا، وأتركُهُ بعدَ غدٍ».

٣- «إذا قلتُ قولًا يُخالِفُ كتابَ الله تعالىٰ، وخبرَ الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي».

هذا ما قاله الإمامُ أبو حنيفة المعروفُ صاحبُ المذهبِ المتبوع، فالأحنافُ امتلَأَتْ بهمُ الدُّنيا، وهذا هو قولُ الإمامِ، فالواجبُ الاقتداءُ، فهو ليس متبوعًا لذاته؛ إنَّما لِمَا أوردَ من الأدلَّة، كيف وهو يقول: «لَا يحلُّ لأحدٍ

أن يأخذَ بقول دون أن يعرفَ من أين أَخَذت».

فالواجبُ علىٰ مَنِ استبَانَت له السُّنَّة أن يأخذَ السُّنَّةَ؛ لأنَّها هي مذهبُ الإمامِ أبي حنيفة؛ لأنَّه هو الذي يقول: السُّنَّة، ويحرص علىٰ الدَّليل.

وقد سمعتُ من شيخِنا الشَّيخ صالحٍ السُّحيمي قبل مدَّةٍ أنَّ الإمامَ أبا حنيفة قيل له مسألةٌ في الإرجاءِ، قال: هل تقول بما كنتَ تقول به؟ قال: كيف وقد قال رسول الله ﷺ...، وإن كنتُ لم أقف علىٰ هذا الأَثَرِ، ولكن هذا المَظنون في أهل العلمِ عندما يقال له: قال رسول الله، ليس له إلَّا أن يقول: سمعْنا وأطعْنا.

هذه هي المنهجيَّة، وأنا أردتُ هذا الطَّرحَ المعاصِر في زمانِنَا؛ حتىٰ ندركَ أنَّ هذا مُمكِنٌ في التطبيق والمُمَارسة.

ثانيًا: مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال:

١- «إنما أنا بشرٌ أخطئُ وأصيبُ، فانظروا في رأيي، فكلُّ ما وَافَقَ الكتابَ والسُّنَّة فخذوه، وكل ما لم يوافقِ الكتابُ والسُّنَّة فاتركوه»؛ إذًا، لم يُلزِمْهُم برأيِهِ هو.

بعضُ النَّاس يقول: لا، اسمعْ منِّي، ولا تسمعْ مِن غيري، فالخيرُ كلُّه

عندي، هنا يدلُّه علىٰ الكتاب والسُّنَّة، ما يدلُّه علىٰ شخصِهِ أو علىٰ نفسِهِ، ولكن من النَّاس مفتونٌ، نسألُ الله لنا ولكم العافيةَ.

٢- «ليس أحدٌ بعدَ النَّبيِّ ﷺ إلَّا ويؤخذُ من قولِهِ ويُتركُ إلَّا النبي ﷺ».

٣- **قال ابن وهب:** «سمعتُ مالِكًا سُئلَ عن تخليلِ أصابعِ الرِّجلين في الوضوءِ، فقال: ليس ذلك علىٰ النَّاس. قال: فتركته حتىٰ خفَّ الناس، فقلت له عندنا في ذلك سُنَّة. فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا اللَّيثُ بن سعد، وابن لهيعة، وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن المستورد بن شدَّادٍ القرشيِّ قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه، فقال: إنَّ هذا الحديث حسنٌ، وما سمعتُ به قطُّ إلَّا السَّاعة».

يعني: إن إسنادَه صالحٌ للاستدلالِ، ومع ذلك ما مرَّ به.

«ثم سمعتُهُ بعدَ ذلك يُسألُ، فيأمرُ بتخليلِ الأَصابع».

إذًا، هذا هو المعتَمَدُ، فلا يُعَانِدُون إذَا أتاهمُ الدَّليلُ، بل دَيْدَنُهم الانْصِيَاعُ، والامْتِثالُ، والرُّجُوعُ، وبعضُ النَّاس يأتي بالكلامِ ثُم تقولُ له: ما دليلُك؟ فليسَ له إلَّا أن يقول: أنت شاكٌّ ولا تُصدِّقني، وغير مقتنعٍ بِكَلَامِي؟ أنا لا أتعبَّد اللهَ بأفعالِك ولا بأقوالِك، أنت هادٍ إلىٰ الخير، فأين هذا الخير؟ ما

حُجَّتُك فيمَا تقول؟

هذه هي التَّربيةُ العلميَّةُ التي تربطُ النَّاس بالكتابِ والسُّنَّةِ، ولا تربط النَّاسَ بالنَّاسِ، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كتابُ اللهِ وسُنَّتِي**»(١)، «**أَمَا إِنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومثلَه معَه**»(٢)، وهذه المنهجيَّة العلميَّة التي تنتج طلبةَ علمٍ يعتَنُون بالأَدِلَّةِ.

ثالثًا: الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا الإمامُ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فالنُّقولُ عنه في ذلك أكثرُ وأطيبُ، وأتباعُهُ أكثرُ عَمَلًا بها، وأَسعَدُ، فمنها:

١- «ما مِن أَحَدٍ إلَّا وتذهبُ عليه سُنَّة لرسول الله ﷺ، وتعزُبُ عنه، فمهما قلت مِن قولٍ، أو أصَّلت مِن أصلٍ، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قُلت؛ فالقولُ ما قاله رسولُ الله ﷺ، وهو قولِي».

٢- «أجمعَ المسلِمون علىٰ أنَّ مِنِ استبَانَ له سُنَّةٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ لم يحلّ له أن يَدَعَها لقولِ أحدٍ».

---

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٢٠١٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معدي كَرِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٦٣).

٣- «إنْ وَجَدتُم في كتابي خِلَافَ سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فقولُوا بسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ودَعُوا ما قُلت». وفي روايةٍ: «فاتَّبعُوها، ولا تلتَفتُوا إلىٰ قولِ أحدٍ».

٤- «إذا صحَّ الحديثُ فهو مَذهَبِي».

نقلَ الإجماعُ علىٰ أنَّ مَنِ استبَانَت له السُّنَّة ألَّا يستمرَّ علىٰ ما هو عليه، بل يرجع، كيف وبعض النَّاس يقولون: هذه آيةٌ في القرآن، حديثٌ عن رسول الله ﷺ، فيقولُ: الإمامُ أعلم، بالتأكيد قد مرَّت به، وعنده جوابٌ، عذرُه له، أنتَ ماذا تقول؟ هو قد قضَىٰ نَحْبَه وانعَذَرَ بعدمِ العلمِ وعدم المعرفةِ، لكن ماذا عنك وقد استبان لك الدَّليل؟

فمنهجِيَّةُ طالبِ العلمِ أن يعتني بذلك غايةَ العنايةِ، بل إنَّ الإمامَ مالكًا طلبَ منه الخليفةُ أن يعلِّق «الموطأ» علىٰ الكعبةِ، ويجعله للنَّاس إمامًا، ما فرحَ كما يفرحُ بعضُ النَّاس اليوم، أنَّ رَأْيَه هو الذي نُصِرَ، ورأيَه هو الذي يُقدَّمُ.

قال: لعلَّ هناك ما لم نطَّلعْ عليه، ولم نسمعْ به، وهكذا، فلم يجعلْ كتابَه الأصلَ؛ لأنَّه يجمع في «الموطإ»، وفي غير «الموطإ»؛ وهذا لِعَقلِهِ، فالإمامُ مالكٌ عاقلٌ، وأيضًا حَرصَ علىٰ ألَّا يقع في الإثمِ؛ أن يحصُرَ النَّاس علىٰ ما جمع هو.

وقد قال الشَّافعي عبارةً مشهورةً: «إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهَبِي».

ومِنَ الشَّواهِدِ أيضًا: أنَّ الإمامَ النووي في «المجموع» مرَّ بمسألةٍ، قال: وهذه قد قالَ فيها النَّبيُّ ﷺ...، ثمَّ أوْرَد الدَّليل، ثم خَتَمَ، وقال: وبهذا يقولُ الشَّافعي.

ولم يأتِ عن الشَّافعي أنه قال بهذا، ولكنَّه قال: وبهذا يقولُ الشَّافعي، حيث إنه قالَ: «إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي»، وقد صحَّ الحديثُ.

٥- أنتم أعلمُ بالحديث والرِّجال منِّي؛ فإذا كان الحديثُ صَحِيحًا فأَعْلِمُونِي به؛ أيَّ شيءٍ يكون؟ كُوفِيًّا، أو بَصْرِيًّا، أو شَاميًّا، حتىٰ أذهبَ إليه إذا كان صحيحًا.

٦- كلُّ مسألةٍ صحَّ فيها الخبرُ عن رسول الله ﷺ عند أهلِ النَّقلِ بخلَافِ ما قلت، فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي.

نعم، وهذا أيضًا ممَّا يبين.

٧- إذا رأيتُمُوني أقولُ قولًا وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ خلافه؛ فاعلمُوا أنَّ عقلي قد ذَهَبَ.

٨- كلُّ ما قلتُ فكان عَنِ النَّبيِّ ﷺ خلافَ قولِي ممَّا يصحُّ؛ فحديثُ النَّبيِّ أوْلَىٰ، فلا تُقَلِّدُوني.

علىٰ كلٍّ، فهذه النُّقولُ عن الأئمَّةِ نُقُولٌ ثابتةٌ، سواء عن أبي حنيفة أو عن

غيره، وقد أثنىٰ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية علىٰ أبي حنيفة ثَنَاءً عاطرًا، مع علمِهِ بِمَا قد قيلَ فيه من تَضعيفٍ، أو بما قد طعنَ فيه، ولكنَّ أبا حنيفةَ متبوعٌ في كثيرٍ من العالمِ الإسلامي، ودلالةُ النَّاسِ علىٰ الخيرِ أَوْلَىٰ مِن أَن نَتَكَلَّم في شخصٍ قد ذكر فيه ما ذكر أهل العلم، فهذه النُّقولُ التي نقلت ثابتةٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، للشافعي نقولٌ كثيرةٌ أوصلها الشَّيخ إلىٰ أكثرَ من ثمانية.

٩-كلُّ حديثٍ عن النَّبيِّ ﷺ فهو قولي، وإن لم تَسمعُوه منِّي.

رابعًا: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا الإمامُ أحمدُ فهو أكثرُ الأئمَّةِ جَمعًا للسُّنَّةِ وتَمَسُّكًا بها، حتىٰ كان يَكرهُ وضعَ الكُتُبِ التي تَشتَمِلُ علىٰ التَّفريعِ والرَّأي، ولذلك قال:

١- «لا تُقلِّدْني، ولا تقلِّدْ مالكًا، ولا الشَّافعي، ولا الأوزَاعي، ولا الثَّوري، وخذْ مِن حيث أخذُوا».

هذه نماذجُ أنَّ المَدَارِسَ المُشتَهِرَةَ أئمَّتُها لا تجعلُهُم مُقَلِّدين عندك، إنَّما ارْجِعْ لِمَا أخذُوا منه، واعتمَدَ عليه، فَأَهلُ العلمِ يُستَأنَسُ بأقوالِهِم، ولكن هي لا تقومُ مقامَ الأدِلَّةِ.

وأكثَرُ العبَارَاتِ تَردِيدًا ردَّدها أهلُ العلمِ من قبل: إنَّ أقوالَ العلماء يُحتَجُّ لها ولا يُحتَجُّ بها؛ لِأنَّهم ليْسُوا حُجَّةً، والتقليدُ الممنوعُ هو تقليدُ أو اتِّباعُ من

ليس حُجَّة بغير حُجَّةٍ، وأمَّا اتِّباع من ليس حُجَّة بحُجَّة، فهذا اسمُهُ: اتِّباعٌ؛ لأنَّ النَّاسَ ما بينَ تقليدٍ مذمومٍ وتقليدِ الجاهلِ الذي لا يَعرفُ، وهذا لا يدركُ، وهناك الاتِّباع، وهناك الاجتهادُ، وهذه مراتبُ أهلِ العلم وطلبتِهِ.

وفي روايةٍ: لا تقلِّدْ دينَك أحَدًا مِن هؤلاء، ما جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ فَخُذْ به، ثم التَّابِعِينَ بعد فالرَّجل فيهم مُخَيَّرٌ.

وقال مَرَّةً: الاتِّباعُ أن يتبع الرَّجل ما جاءَ عن النَّبيِّ ﷺ، وعن أصحابِهِ، ثم هو مِن بعدِ التَّابعين مُخَيَّرٌ.

٢- «رأيُ الأوْزَاعي، ورأي مالكٍ، ورأي أبي حنيفةَ، كلُّه رأيٌ، وهو عندي سواءٌ، وإنَّما الحُجَّة في الآثار».

فهنا لا يَطعنُ في الأئمَّة، ولكن هنا يُنبِّه أنَّ لهم منزلةً لا تَرتَقِي إلىٰ مقامِ أن يَجعَلُوا أصلًا من حيث الاستدلالِ.

٣- «من ردَّ حديثَ رسول الله ﷺ فهو علىٰ شفا هَلَكَةٍ».

لأنَّه رَدَّ مَصدَرًا من مَصَادِرِ التَّشريعِ؛ إمَّا لِهَوًىٰ، أو لشبهةٍ، أو لشهوةٍ، أو عقلٍ، وهكذا، الأدلَّة ما تردُّ، تُقبَلُ، ويُعْمل بها.

قال الشَّيخ الألبانيُّ: «تلك هي أقوالُ الأئمَّة -رضي الله تعالىٰ عنهم- في الأمرِ بالتَّمسُّكِ بالحديثِ، والنَّهي عن تقليدهم دون بصيرة».

هذه المقدِّمةُ بالنَّقلِ عن الأربعةِ مُسْكِتَةٌ لأتباعِ هذه المدارس، فإنْ أراد أحدٌ أن يتكلَّم من هذه المدارس، يُقال: هذا قولُ إمامِك، فماذا تقول؟

ثمَّ هنا بعد هذه المقدِّمةِ من قبل ستِّين سنة، كانتِ المذهبيَّةُ شديدةً جدًّا، لدرجةِ أنَّ الحَرَمَ فيهِ أربعةُ أئمَّة، كلُّ إمامٍ يصلِّي، وجامعُ دمشقَ كذلك، وهكذا، كلُّ مذهبٍ يُصَلِّي به إمامُه.

تلك هي أقوال الأئمَّة -رضي الله تعالىٰ عنهم- في الأمر بالتَّمسُّك بالحديث، والنَّهي عن تقْلِيدِهم دون بصيرةٍ، وهي مِن الوضُوح والبيان بحيث لا تقبلُ جَدَلًا، ولا تأويلًا.

وعليه؛ فإنَّ مَن تَمَسَّكَ بكل ما ثَبَتَ في السُّنَّة -ولو خالَفَ بَعض أقوالِ الأئمَّة- لَا يكون مُبَايِنًا لمذهبِهم، ولا خارجًا عن طريقتِهِم، بل هو متَّبعٌ لهم جَمِيعًا، ومُتَمَسِّكٌ بالعروةِ الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها.

وليس كذلك مَن تركَ السُّنَّة الثَّابتةَ لمجرَّدِ مُخَالفتِها لقولِهم، بل هو بذلك عاصٍ لهم، ومخالفٌ لأقوالِهم المُتَقَدِّمةِ، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

هو يقول: يعني أنَّ استِدْلَالِي علىٰ الأدلَّة، هذا قولُ العلماء، هذا قولُ الأئمَّة، فتأكيدًا علىٰ الأدلَّة والنُّصوص -هذَا هو قَوْلُهم، ولَسْت بِدعًا حتَّىٰ أُتَّهَم، أو أنْ تكون مقالةُ السُّوء حَوْلِي، فهَذا هو قولُ الأئمَّة، فإنْ ذمَمْتُم فإنَّما ذَممْتُم فيهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجبُ علَىٰ كلِّ مَن بَلَغَه أمرُ الرَّسولِ ﷺ وَعَرَفَه...».

«أنْ يُبيِّنه للأمَّة، وينصح لهم، ويَأمُرهم باتِّبَاعِ أمرِهِ، وإنْ خَالفَ ذلك لأيٍّ عظيمٌ مِن الأمَّة؛ فإنَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن يعظَّم ويُقتدَىٰ به مِن رأي أيِّ معظَّمٍ قد خالفَ أمره في بعض الأشياء خطأً.

ومِن هُنا ردَّ الصَّحابة ومَن بعْدَهم علَىٰ كلِّ مُخالفٍ لسُنَّةٍ صحيحةٍ، وربَّما أغْلَظُوا في الرَّدِّ، لا بُغْضًا له، بل هو مَحْبُوبٌ عندهم، معظَّمٌ في نفُوسِهم، لكن رسول الله ﷺ أحبُّ إليهم، وأمرُهُ فوق أمرِ كلِّ مخلوقٍ، فإذا تَعَارَضَ أمرُ الرَّسول وأمرُ غيرِهِ؛ فأمرُ الرَّسولِ أوْلَىٰ أن يُقدَّمَ ويتَّبعَ، ولا يَمْنع مِن ذلك تعظيم مَن خالفَ أمْرَه، وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالفُ المغفور له...

مَاذا قال النَّبيُّ ﷺ لعُمَرَ؟

«واللهِ، لقد جئتُكم بها بَيضَاءَ نَقيَّةً، أَمُتَهَوِّكُونَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ»، وفي بعض

الروايات: «**لو كَانَ فيها هدًى ما ضلُّوا**»، وذلك تأكيدٌ علىٰ أن يتَّبع النَّبيَّ ﷺ، ولا يأتي بقولِ غيرِهِ معه...

«فإذا تَعَارَضَ أمرُ الرَّسولِ وأمرُ غيرِهِ؛ فأمرُ الرَّسولِ أوْلَىٰ أن يُقَدَّمَ ويتبعَ، ولا يمنعُ مِن ذلك تعظيمُ من خالفَ أمرَه، وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالفُ المغفورُ له لا يكرَه أن يخالفَ أمره، إذا ظهرَ أمرُ الرَّسول ﷺ بخلافِهِ».

قلت: كيف يَكرَهون ذلك وقد أَمَرُوا به أتباعَهم كما مرَّ، وأوْجَبُوا عليهم أن يتركُوا أقوالَهم المخالفةَ للسُّنَّةِ؟ بل إنَّ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أمَرَ أصحابَه أنْ يَنسِبُوا السُّنَّةَ الصَّحيحةَ إليه، ولو لم يأخذْ بها، أو أَخَذَ بخلافِها، ولهذا لمَّا جَمَع المُحقِّقُ ابنُ دقيقِ العيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ المسائلَ التي خالفَ مذهب كلِّ واحدٍ من الأئمَّةِ الأربعةِ الحديث الصَّحيح فيها انفرادًا واجتماعًا في مُجَلَّدٍ ضخمٍ.

قال في أوَّلِهِ: «إنَّ نسبةَ هذه المسائلِ إلىٰ الأئمَّةِ المُجتهِدين حرامٌ، وإنَّه يجب علىٰ الفقهاءِ المقلِّدين لهم معرفتُها؛ لئَلَّا يعزوها إليهم، فيكذبوا عليهم».

قال: «تَرَكَ الأتباعُ بعضَ أقوالِ أئمَّتِهم اتِّباعًا للسُّنَّة».

هنا ضَرَبَ المثالَ بالأئمَّةِ والدِّلالة، ثم ذكرَ بعضَ كلامِ المحقِّقين من

أهل العلم، ثم أرادَ أن يُبيِّنَ أنَّ هذه الوصايا من العلماءِ (أئمَّة المذاهب الأربعة) ليس هو كلامًا تَنظِيرِيًّا، إنَّما هو حقيقةٌ عمليَّةٌ، بدليلِ أنَّ التَّلامذةَ أو الطُّلَّاب أو الذين اقتفوا آثارَ هؤلاء الأشياخِ، خالفوا هؤلاء للدلالة، لم يقفوا خلفَهم ويترُكوا الأدِلَّةَ لمُجَرَّدِ أنَّ هذا كلامُ الشَّيخ فلان، فكان كلامُ العلماء كلامًا توجيهيًّا تطبيقيًّا، وليس هو طرحًا تنظيريًّا، بحيث لو نُوقِشَ قال: إنه قد قال كذا، دعْ عنِّي ما قد قال؛ لنأتي لمَا قد عملتَ.

«ولذلك كلُّه كان أتباعُ الأئمَّة ثُلَّةٌ من الأوَّلينَ، وقليلٌ من الآخرين، لا يأخذون بأقوال أئمَّتهم كلِّها، بل قد تركوا كثيرًا منها لمَّا ظهرَ لهم مخالفتُها للسُّنَّة، حتىٰ إنَّ الإمامين مُحَمَّد بن الحسن، وأبا يوسف -رحمهما الله- قد خالفا شيخهما أبا حنيفة في نحو ثُلُثَيِ المذهبِ...».

إنَّ ثُلُثَيِ المذهبِ شيءٌ ليس بسهلٍ.

«...وكتبُ الفروعِ كفيلةٌ ببيان ذلك».

وعَزَرُوا للإمام أبي حنيفة انتشارَ مدرسةِ الرَّأيِ في العراق، وقلَّة النُّصوص والأدلَّة، ولمَّا الْتَقَىٰ تلامذةُ أبي حنيفة بالمُحدِّثين، وسمعوا النُّصوص -هم وقَّافون لا شكَّ- رَجَعُوا عن كثيرٍ ممَّا كان عليه أبو حنيفة.

«...ونحو هذا يقال في الإمام المُزَنِي وغيرِه من أتباعِ الشَّافعي وغيره، ولو

ذهبنا نضربُ علىٰ ذلك الأمثلة لطال بنا الكلامُ، ولخرجْنا به عمَّا قصدْنا إليه في هذا البحثِ من الإيجازِ؛ فلنقتصرْ عَلَىٰ مِثَالَين اثنَين:

١- **قال الإمام مُحَمَّد في «مُوَطَّئِهِ»**: «أمَّا أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ فكان لا يرىٰ في الاستسقاءِ صلاةً، وأمَّا في قولِنَا فإنَّ الإمامَ يُصلِّي بالنَّاسِ ركعتين، ثم يدعو ويُحولُ رداءَه...»، إلىٰ آخره.

٢- وهذا عصام بن يوسف البلخي، مِن أصحابِ الإمامِ مُحَمَّد، ومِنَ المُلَازِمينَ للإمام أبي يوسف، كان يُفتِي بخِلَافِ قول الإمام أبي حنيفة كثيرًا؛ لأنه لم يَعْلم الدَّليل، وكان يظهر له دليلٌ غيرُه فيُفتِي به، ولذلك كان يرفعُ يديه عندَ الرُّكوعِ منه، كما في السُّنَّة المُتَواتِرَةِ عن رسول الله ﷺ.

وهذا مُتسلسلٌ، يعني: كَمْ خَالفَ شيخُ الإسلام ابن تيمية مع أنَّه بالجُملة حنبليٌّ؛ إلَّا أنَّ كثيرًا مِن المسَائلِ خَالفَ فيها الحَنابلةَ، بل حتَّىٰ الشَّيخ مُحَمَّد ابن عبد الوهَّاب يعتمد علىٰ الأدلَّة، وكذلك إلىٰ أنَّ الشَّيخ ابنَ إبراهيم - رحمة الله علىٰ الجميع- له بعضُ الاختيارات، كذلك تلميذُهُ الشَّيخ ابن باز له بعض الاختياراتِ التي لا يُوافِقُ فيها شَيْخَه، وهكذا، فهذه التَّوجِيهَاتُ يتلقَّونَها؛ لأنَّ المَقْصِدَ هو البحثُ عمَّا تعضده الأدلَّة.

ربَّما يكون هناك الاختلاف في الفهم، النَّبيّ ﷺ قال لصَحَابَتِه: «**لا تُصلُّوا**

العصرَ إلَّا في بني قُرَيظةَ»[(١)]، فبعض الصَّحابة صلَّىٰ في الطَّريق، وقال: إنَّما أرادَ النَّبيُّ ﷺ الاسْتِعْجَالَ، وهؤلاء أخَذُوا بدلَالةِ المفهومِ، وبعضهم أخَّر، قال النَّبيُّ: «**لا تُصلُّوا إلَّا في بني قريظةَ**»، أراد دلالةَ الظَّاهرِ والمَنطوقِ، فهُنا كُلٌّ أَخَذَ بما كان في ظنِّه أنَّه هو الصَّوَابُ، وهُنا اجتهادُ المُجْتهِدِ إنْ وافَقَ فله أجْرَان، أجرُ الاجتهاد وأجرُ الموافقة عند الله، وإنْ خَالَفَ فله أجرٌ؛ الذي خالفَ الحقَّ الذي عند الله، فليس له إلَّا أجرُ الاجتهادِ، وإن كان مُخطِئًا، فعذرُه أنَّه حاوَلَ أنْ يُصيبَ وأخطَأَ، فهذا الأمرُ موجودٌ.

وحقيقةً، هذه تربيةٌ لطالبِ العِلْم أن يطرح منه التَّقليدَ الذي يتَشبَّث فيه بقَوْلِ شَيْخِهِ بغَيرِ دليلٍ، وأمَّا مَا كان فيه دليلٌ، فقَدْ وافَقَ اختياره للدَّليلِ المَوجُودِ، وهكَذا في الكثيرِ مِن المَسَائلِ.

فلَم يمنَعه مِنَ العَمَلِ بها أنَّ أئمَّتَه الثَّلَاثَة قالوا بخِلَافِها، وذلك ما يجبُ أنْ يكونَ عليه كلُّ مُسلمٍ بشهادةِ الأئمَّة الأربعة وغيرهم كما تقدَّم.

وخُلاصَةُ القَوْل: إنَّني أرْجُو ألَّا يُبادر أحدٌ مِن المقلِّدين إلىٰ الطَّعن في مَشْربِ هذا الكِتَابِ، وتركِ الاستفادةِ مِمَّا فيه مِن السُّننِ النَّبويَّة بدَعْوىٰ مُخالفتِها للمَذْهبِ، بل أرْجُو أنْ يَتذكَّر ما أسْلَفْناه مِن أقْوَالِ الأئمَّةِ في وجوبِ العملِ بالسُّنَّة، وترك أقوالِهم المخالفة لها، وليعلمَ أنَّ الطَّعنَ في هذا المَشْربِ

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

إنَّما هُو طَعنٌ في الإمَامِ الَّذي يُقَلِّدُه أيًّا كانَ مِنَ الأئمَّةِ؛ فإنَّما أَخَذْنا هذَا المَنْهجَ منهم كَمَا سَبَقَ بيانُهُ، فَمَن أَعرَضَ عَن الاهتدَاءِ بهم في هذا السَّبيلِ، فهو علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ لأنَّه يَسْتلْزمُ الإعراضَ عن السُّنَّة، وقد أُمِرْنَا عند الاختلافِ بالرُّجوعِ إليها، والاعتمادِ عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا ممَّن قال فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥١، ٥٢].

«ذلك ما كنت كتبتُهُ منذ عشرِ سنواتٍ في مقدِّمةِ هذا الكتابِ، وقد ظهر لنا في هذه البرهةِ أنَّها كان لها تأثيرٌ طيِّبٌ في صفوفِ الشَّبابِ المؤمنِ».

بعدما ألَّف الشَّيخ هذا الكتابَ، وانتشَر في النَّاس، ردَّ بعد عشرِ سنواتٍ علىٰ مَنِ اعترَضَ علىٰ المقدِّمة؛ لأنَّهم أَورَدُوا شُبُهَاتٍ، فبيَّنَ لهم ونَصَحَهم بهذه الأمور، وأجاب علىٰ الشُّبُهَاتِ.

«...لإرشادِهم إلىٰ وجوبِ العودة في دينِهم وعبادتهم إلىٰ المنبعِ الصَّافي

من الإسلامِ: (الكتاب والسنة)، فقد ازداد فيهم -والحمد لله- العاملون بالسُّنَّةِ، والمُتَعَبِّدُون بها، حتىٰ صَاروا معروفين بذلك، غير أني لَمَسْتُ من بعضهم توقُّفًا عن الاندفاعِ إلىٰ العمل بها، لا شكًّا في وجوبِ ذلك بعدما سُقْنَا من الآيات والأخبار عن الأئمَّة في الأمرِ بالرُّجوع إليها، ولكن لشُبُهَاتٍ يسمعُونها من بعضِ مشايخِهم المُقَلِّدِين...».

بعضُ النَّاس يقولون: صحيحٌ، أنتم علىٰ الحقِّ، وأنتم الأصحُّ، وتعتنون بالأدلَّة؛ ولكن هكذا النَّاس، من الصَّعب علىٰ الإنسانِ أن يُغَيِّرَ أو يبدِّلَ...؛ المشايخُ كلهم هكذا، بل المجتمعُ كلُّه؛ فيأتي بضغوطٍ اجتماعيةٍ، ولو أنَّه التَفَتَ إلىٰ النَّواحِي الشَّرعيَّة؛ لَعَلِمَ أنَّ مَنِ اسْتعَانَ باللهِ أعانَه اللهُ، ومَن أرادَ إرضاءَ اللهِ سيُرضِي النَّاسَ عنه بإذنِهِ؛ فهذه منه -يعني- تَنبيهٌ لمن يَعلمون الصوابَ ويترُكونَه.

«لذَا، رأيتُ أنْ أتعرَّض لِذِكْرِها، والردِّ عليها، لعلَّ ذلك البعض يندفع بعد ذلك إلىٰ العملِ بالسُّنَّةِ مع العامِلِينِ بها، فَيكُونُ مِنَ الفرقةِ النَّاجيةِ بإذن الله تعالىٰ.

١- **قال بعضهم**: لَا شَكَّ أنَّ الرُّجُوعَ إلىٰ هدي نبيِّنا ﷺ في شُؤونِ دِينِنا - أمرٌ واجبٌ، لَاسيَّمَا فيما كان منها عبادة مَحْضَة لا مجالَ للرَّأيِ والاجْتِهَادِ فيها؛ لِأنَّها تَوقِيفِيَّةٌ كالصَّلاة مثلًا، لكنَّنا لا نكَادُ نَسمعُ أحدًا مِن المَشَايخِ المُقَلِّدِينَ يأمرُ بذلك، بل نجدهم يقرُّون الاختلاف، ويزعمون أنه توسِعةً

علىٰ الأمَّة».

هل الخلافُ توسعةٌ؟!

الله ﷻ يأمرُ بالاجتماعِ وينهىٰ عن الخِلاف فيقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ويقول ابن مسعودٍ: «الخِلَافُ شرٌّ»[(١)].

وأذكر في مجلسٍ مِن المجَالِس سُئل شيخُنا -رحمة الله عليه- الشَّيخ عبد العزيز بن باز عن خلافِ الأمَّة؛ أَهُوَ رحمة؟

فقال: «أعوذ بالله، الخلافُ شرٌّ، الخلافُ شرٌّ، ليسَ رحمةً؛ بل الاجتماعُ هو الرَّحمة، ثم استشهد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

«ويحتجُّون علىٰ ذلك بحديثٍ طالما كرَّروه في مثل هذه المناسبة، رادِّين به علىٰ أنصارِ السُّنَّة: «**اختلاف أمَّتي رحمةٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٦٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٤).

(٢) أورده القاري في «الأسرار المرفوعة» (ص٨٤) وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٧): لا =

فيبدو لنَا أنَّ هذا الحديث يخالفُ المنهج الذي تدعو إليه، وألفت كتابك هذا وغيره عليه، فما قولُك في هذا الحديثِ؟

والجوابُ مِن وَجْهَيْن:

الأوَّل: أنَّ الحديثَ لا يصحُّ، بل هو باطلٌ لا أصل له...».

أوَّل ما بدأَ بهدمِ الأصل الذي ظنُّوا أنَّه شرعيٌّ، واعتمدوا عليه، والدَّليل ما هو صحيحٌ، والأحاديث الضَّعيفةُ لها أثرٌ في الأمَّة، تجد كثيرًا مِن البدع معتَمِدةً علىٰ أحاديثَ ضعيفةٍ.

«**قال العلَّامة السُّبكي**: لم أقفْ له علىٰ سندٍ صحيحٍ، ولا ضعيفٍ، ولا موضوعٍ. **قلت**: وإنَّما رُويَ بلفظ: «**اختلافُ أصحابِي لكم رحمةٌ**»[(١)]، «**أصحابي كالنُّجومِ، فَبِأيِّهم اقتدَيتُم اهتَديتُم**»[(٢)]، وكلاهما لا يصحُّ، الأوَّل واهٍ جدًّا، والآخرُ موضوعٌ، وقد حقَّقت القولَ في ذلك كله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة».

الثَّاني: أنَّ الحديثَ مع ضعفِهِ مخالفٌ للقرآن الكريم، فإنَّ الآيات

=

أصل له.

(١) أورده العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٢٤)، وقال الألباني في «صفة الصلاة» (ص٤٩): موضوع.

(٢) أورده الألباني في «صفة الصلاة» (ص٤٩) وقال: واهٍ جدًّا.

الواردةَ فيه في النَّهي عن الاختلافِ في الدِّين، والأمرُ بالاتِّفاقِ فيه، أشهَرُ مِن أن نذكرَها، ولكن لا بأس من أن نسوقَ بعضَها علىٰ سبيلِ المثال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم:٣١، ٣٢]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]؛ فإذا كان من رحمةِ ربِّك لا يختلفون، وإنما يختلفُ أهلِ الباطل، فكيف يُعقَل: أن يكون الاختلافُ رحمة؟

«فثبت أنَّ هذَا الحَدِيث لا يصحُّ لا سندًا ولا مَتْنًا، وحينئذٍ يتبيَّن بوضوحٍ أنهَّ لا يجوز اتِّخاذه شبهةً للتوقُّف عن العمل بالكتاب والسُّنَّة، الذي أمر به الأئمَّة.

٢- **وقال آخَرُون**: إذا كان الاخْتِلَاف في الدِّين مَنهيًّا عنه، فماذا تقولون في اختلاف الصَّحابة والأئمَّة من بعدهم؟.

وهل ثَمَّة فرقٌ بين اختلافهم واختلاف غيرهم من المتأخِّرين؟

فالجواب: نعم، هناك فرقٌ كبيرٌ بين الاختلافين، ويظهر ذلك من شيئين: **الأول**: سببه، **والآخر**: أثره؛ فأمَّا اختلافُ الصَّحابة، فإنَّما كان عن ضرورةٍ،

واختلافٌ طبيعيٌّ منهم في الفهم، لا اختيارًا منهم في الخلاف.

يعني: هُم اختَلفُوا، ليس الأمر قبلهم، فاختَارُوا مِن الخلافِ، فالدَّليل لمَّا وَصَلَهُم اختلفوا في تطبيقِه، بخلافِكم أنتم، فالخلافُ موجودٌ، الذين احتجُّوا بما عليه الصَّحابة؛ فالصَّحابة لم يَكُن قبلهم اختلافٌ، الدَّليل موجودٌ، اختلفوا في الفَهْم وقوَّمهم النَّبي ﷺ؛ فانتهىٰ خلافهم... وهكذا.

لكنَّ الَّذي مِن بعدهم يأتي يرىٰ القول ودليله، ويرىٰ القول الآخر وعدم وجود الدَّليل، فهنا اختياره لعَدمِ وجودِ الدَّليلِ مع الدَّليل الموجود، هذا خطأٌ واضحٌ.

«يضاف إلىٰ ذلك أمورٌ أخرىٰ كانت في زمنهم استَلزمتِ اختلافهم، ثم زالت مِن بعدهم، ومثل هذا الاختلافِ لا يمكن الخلاصُ منه كليًّا، ولا يلحق أهلَه الذمُّ الوارد في الآيات السابقة وما في معناها؛ لعدم تحقُّق شرط المؤاخذة، وهو القصد أو الإصرار عليه».

يعني: أنَّهم مجتهدون.

«وأمَّا الاخْتِلَاف القَائم بيْنَ المُقلِّدة، فلا عُذْرَ لهم غالبًا؛ فإنَّ بعْضَهم قد تتبيَّنُ له الحُجَّةُ مِن الكِتَاب والسُّنَّة، وأنَّها تُؤيِّد المذهبَ الآخرَ الَّذي لا يتمذهب به عادةً، فيدعها لا لشيءٍ، إلَّا لأنَّها خلاف مذهبِه، فكأنَّ المذهب

عنده هو الأصل، أو هو الدِّين الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ، والمذهب الآخر هو دينٌ آخرُ منسوخٌ.

وآخَرُون منهم علَىٰ النَّقيضِ مِن ذلك؛ فإنهم يرونَ هذه المذاهب علىٰ ما بينها من اختلافٍ واسعٍ -كشرائع متعدِّدة، كما صرَّح بذلك بعض متأخِّريهم، لا حرجَ علىٰ المسلم أن يأخذَ من أيِّها ما شاء، ويدع ما شاء؛ إذ الكلُّ شرعٌ، وقد يحتجُّ هؤلاء وهؤلاء علىٰ بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل: «**اختلاف أمَّتي رحمةٌ**»(١)، وكثيرًا ما سمعناهم يستدلُّون به علىٰ ذلك، ويعلِّل بعضهم هذا الحديث، ويُوجِّهونه بقولهم: إنَّ الاختلاف إنَّما كان رحمةً؛ لأنَّ فيه توسعةً علىٰ الأمَّة، ومع أنَّ هذا التَّعليل مخالفٌ لصريح الآيات المتقدِّمة وفحوىٰ كلمات الأئمَّة السَّابقة، فقد جاء النَّصُّ عن بعض».

الخلافُ؛ توسعةٌ أم تَضْيِيقٌ؟ الحقيقة أنَّه يضيِّقُ، يصبح أحزابًا وشَراذِم، فيتمزَّقون، ويتَمزَّعون، وتَضِيقُ دَائرةُ الإسلام التي تجمع الجميع إلىٰ أن يصبح كل حزب بما لديهم فرحين.

«...**قال ابن القاسم**: سمعتُ مالكًا والليثَ يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناسٌ: فيه توسعةٌ، ليس كذلك، إنَّما هو خطأٌ

(١) أورده القاري في «الأسرارا لمرفوعة» (ص٨٤) وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٧): لا أصل له.

وصوابٌ...».

يعني: خطأً أو صوابًا، وليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال، يعني: الحقُّ لا يتعدَّد، الحقُّ واحدٌ، لكن أنت تسألُ الله أن يدلَّك عليه: اللهمَّ أرِنِي الحقَّ حقًّا وارزقني اتِّباعَه، النَّبيُّ ﷺ كان يدعو ربه: «**اللهُمَّ اهدِنِي لمَا اختُلفَ فيه مِنَ الحقِّ بِإذْنِكَ**»(١)، وهو رسول الله، يدعو الله أن يهديَه لِمَا اختلف فيه من الحقِّ، والحقُّ ما دلَّت عليه البراهينُ.

«...**وقال أشهبُ**: سُئل مالكٌ عمَّن أخذَ بحديثٍ حدَّثه ثقةٌ عن أصحاب رسول الله ﷺ: أتراهم من ذلك في سَعَةٍ؟ فقال: لا والله، حتَّىٰ يصيب الحقَّ، ما الحقُّ إلَّا واحدٌ؛ قولان مختلفان: أيكونان صوابًا جميعًا؟! ما الحقُّ والصَّوابُ إلَّا واحدٌ.

وقال المُزَني صاحبُ الإمام الشَّافعي: وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطَّأَ بعضُهم بعضًا، ونظَرَ بعضُهم في أقاويلِ بعضٍ، وتَعَقَّبَها، ولو كان قولُهم كلَّه صوابًا عندهم لَمَا فعَلُوا ذلك، وغضب عمرُ بن الخطاب مِن اختلافِ أبيِّ ابن كعبٍ وابنِ مسعودٍ، في الصَّلاةِ في ثوبٍ واحدٍ؛ **إذ قال أُبَيٌّ**: إنَّ الصَّلاة في الثَّوبِ الواحدِ حسَنٌ وجميلٌ. **وقال ابنُ مسعودٍ**: إنَّما كان ذلك والثِّياب قليلةٌ؛

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فخرجَ عمرُ مُغضَبًا، **فقال**: اختلف رجلان من أصحابِ رسول الله ﷺ ممَّن يُنظَرُ إليه ويُؤخَذُ عنه، وقد صَدَقَ أُبَيٌّ، ولم يأْلُ ابنُ مسعُودٍ، ولكنِّي لا أسمعُ أَحَدًا يَختلفُ فيه بعدَ مَقَامِي هذا إلَّا فَعَلتُ به كذا وكذا...».

يعني هنا: مقامَ وليِّ الأمرِ، والقولُ عندما يُؤيِّدُه وليُّ الأمر، هنا يُرفَع الخِلَاف، وهنا صحابةٌ، فاخْتَار أحدهم مسألةَ كذا ومسألة كذا، ولكن قول عمر في ذكره لأُبيٍّ إذن- قول وليِّ الأمر يرفع الخلافَ.

«...**وقال الإمام المُزني أيضًا**: يُقال لمن جوَّز الاختلافَ، وزعم أنَّ العالِمَين إذا اجتهدَا في حادثةٍ، فقال أحدهما: حلالٌ، والآخر: حرامٌ، أنَّ كلَّ واحدٍ منهما في اجتهادِه مُصيبٌ للحقِّ؛ أَبِأَصلٍ قلتَ هذا أم بقياسٍ؟ فإن قال: بأصلٍ، قيل له: كيفَ يكون أصلًا والكتابُ ينفي الاختلافَ؟ وإن قلتَ: بقياسٍ، قيل: كيف تكون الأصولُ تنفي الخلافَ، ويجوز لك أن تقيسَ عليها جوازَ الخلافِ؟ هذا ما لا يجوِّزُهُ عاقلٌ فضلًا عن عالمٍ.

فإن قال قائلٌ: يخالفُ ما ذكرته عن الإمامِ مالكٍ أنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدَّد، ما جاءَ في كتاب «المدخل الفقهي» للأستاذ الزرقا: ولقد همَّ أبو جعفرٍ المنصورِ، ثمَّ الرَّشيدُ من بعده، أن يختارَ مذهبَ الإمامِ مالكٍ وكتابه «الموطأ» قانونًا قضائيًا للدَّولة العبَّاسيَّة، فنهاهما مالكٌ عن ذلك، وقال: إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروعِ وتفرَّقوا في البلدان، وكلٌّ مُصِيبٌ».

كلمة قانون كلمةٌ دخيلةٌ، يعني في جعلها قانونًا -يعني- خطأ، استعمله الزرقا عفا الله عنه؛ لأنَّ النَّاسَ تَأَثَّروا بالبيئةِ الاجتماعيَّةِ والألفاظ السَّائدة؛ فلذلك اختيارُ الألفاظِ الشَّرعيَّة أفضلُ، كلمة قانون، دستور، كلُّها غلطٌ، إنَّما نقول: مَرْجع.

«...**وأقول**: إنَّ هذه القصَّة معروفةٌ مشهورةٌ عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن قوله في آخرها: «وكلٌّ مصيبٌ»، ممَّا لا أعلمُ له أصلًا في شيءٍ من الروايات والمصادرِ التي وقفت عليها؛ اللهمَّ إلَّا رواية واحدة، أخرجَها أبو نعيمٍ في «الحلية» بإسنادٍ فيه المقدامُ بنُ داود، وهو ممَّن أوردهم الذَّهبيُّ في «الضعفاء»، ومع ذلك فإنَّ لفظَها: «وكلٌّ عند نفسه مصيبٌ»، **فقوله**: «عند نفسه»: يدلُّ علىٰ أنَّ رواية «المدخل» مدخولةٌ، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفةٌ لمَا رواه الثِّقاتُ عن الإمام مالكٍ أنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدَّد، كما سبق بيانه؟ وعلىٰ هذا كلُّ الأئمَّةِ من الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة الأربعة المجتهدين وغيرهم.

قال ابن عبد البرِّ: ولو كان الصَّوابُ في وجهينِ مُتَدَافِعينِ مَا خَطَّأَ السَّلف بعضُهم بعضًا في اجتهادِهم وقضائِهم وفتواهم، والنَّظر يأبىٰ أن يكونَ الشيءُ وضدُّه صوابًا كله...».

وهذا النِّقاش وهذا الطَّرحُ واضحان كما سبق.

«...**ولقد أحسن مَن قال**: إثباتُ ضِدَّين معًا في حالٍ، أقبحُ ما يأتي من المُحالِ، فإنْ قيلَ: إذا ثبتَ أنَّ هذه الروايةَ باطلةٌ عن الإمام، فلماذا أبىٰ الإمام علىٰ المنصور أن يجمع النَّاس علىٰ كتابه «الموطإ» ولم يجبه إلىٰ ذلك؟

فأقول: أحسنُ ما وَقَفتُ عليه من الرِّواية ما ذكره الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «شرح اختصار علوم الحديث»، وهو أنَّ الإمام مالكًا قال: «إنَّ النَّاس قد جمعوا واطَّلعوا علىٰ أشياءَ لم نطَّلع عليها»، وذلك من تمام علمه وإنصافه كما قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فثبت أنَّ الخِلافَ شرٌّ كلُّه، وليس رحمةً، ولكن منه ما يُؤاخذُ عليه الإنسانُ كخلاف المتعصِّبة للمذاهبِ، ومنه ما لا يُؤاخذ عليه، كخلاف الصحابة ومن تابعهم من الأئمَّة، حَشَرَنا الله في زُمرتِهم ووفَّقنا لاتِّباعهم.

فظهر أنَّ اختلافَ الصَّحابة، هو غيرُ اختلافِ المُقَلِّدة، وخلاصتُهُ أنَّ الصَّحابة اختلفوا اضطرارًا، ولكنَّهم كانوا يُنكرُون الاختلافَ، ويفرُّون منه ما وجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا، وأمَّا المقلِّدة فمع إمكانِهم الخلاصَ منه، ولو في قسمٍ كبيرٍ منه، فلا يتَّفقُون ولا يسعَونَ إليه، بل يقرُّونه، فشتَّان -إذًا- بين الاختلافين، **ذلك هو الفرقُ مِن جهة السَّبب**.

وأمَّا الفرق من جهة الأثَر: فهو أوضحُ، وذلك أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع اختلافهم المعروف في الفروع كانوا مُحافِظينَ أشدَّ المحافظةِ علىٰ مظهرِ

الوَحدةِ، بَعيدِينَ كلَّ البُعدِ عمَّا يُفرِّقُ الكلمةَ ويصدِّعُ الصُّفوف، فقد كان فيهم مثلًا من يرىٰ مشروعيَّةَ الجهرِ بالبسملةِ، ومن يرىٰ عدم مشروعيَّته، وكان فيهم من يرىٰ استحبابَ رفع اليدين، ومن لا يراه، وفيهم من يرىٰ نقضَ الوضوء بمسِّ المرأةِ ومن لا يراه؛ ومع ذلك فقد كانوا يصلُّون جميعًا وراء إمامٍ واحدٍ، ولا يستنكفُ أحدٌ منهم عن الصَّلاةِ وراءَ الإمام لخلافٍ مذهبيٍّ.

وأمَّا المقلِّدون فاختلافُهم علىٰ النَّقيضِ من ذلك تمامًا؛ فقد كان من آثارِهِ أن تَفَرَّقَ المسلمون في أعظمِ ركنٍ بعد الشَّهادتين، ألَا وهو الصَّلاة، فهم يَأبَوْنَ أنْ يُصَلُّوا جميعًا وراءَ إمامٍ واحدٍ بحُجَّةِ أنَّ صلاةَ الإمام باطلةٌ أو مكروهةٌ علىٰ الأقل بالنِّسبة للمخالِف له في مذهبه.

وقد سَمِعْنا ذلك ورأيناه كما رآه غيرنا، كيف لا وقد نصَّت كتبُ بعض المذاهبِ المشهورةِ اليوم علىٰ الكراهة أو البُطلان، وكان من نتيجة ذلك أن تجدَ أربعةَ محاريبَ في المسجدِ الجامعِ، يصلِّي فيها أئمَّةٌ أربعةٌ متعاقِبون، وتجدَ أناسًا ينتظرون إمامهم، بينما الإمامُ الآخرُ قائمٌ يصلِّي، بل لقد وصلَ الخلافُ إلىٰ ما هو أشد مِن ذلك عند بعض المقلِّدين.

مثالُهُ:

منع التَّزاوجِ بين الحنفيِّ والشَّافعيَّةِ، ثم صَدَرَت فتوًىٰ من بعض

المشهورين عند الحنفيَّة، وهو الملقَّبُ بمفتي الثَّقلَيْن، فأجاز تزوُّجَ الحنفيِّ بالشَّافعيَّةِ، وعلَّل ذلك بقوله: «تنزيلًا لها منزلةَ أهل الكتاب» -ومفهوم ذلك، ومفاهيم الكتب معتبرةٌ عندهم- أنه لا يجوز العكس...».

هذا صحيحٌ، وموجودٌ، فالتعصُّب المذهبيُّ موجودٌ في بعض البلاد، ما يَرْضَوْن أنْ يخطب فيهم أو يؤمَّهم في الصَّلاة مَن يَجْهر بالتَّأمين، خاصَّة أهل الحديثِ في الهندِ وباكستان يعانُون مِن مُتَعَصِّبةِ المَذَاهبِ.

وهكذا أيضًا المتعصِّبة في المناهج الدَّعويَّة، لا يُمكِّنون سلفيًّا من منبرٍ ولا من إمامةِ مسجدٍ، لا يصلُّون معه أصلًا، هكَذا التَّعصُّباتُ، وهذه الأشياء موجودةٌ، قِس عليها غيرها.

«...ومفهوم ذلك ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم: أنه لا يجوز العكس، وهو تزوُّج الشافعيِّ بالحنفيَّة، كما لا يجوز تزوُّج الكتابيِّ بالمسلمة.

هذان مثالان من أمثلةٍ كثيرةٍ توضِّح للعاقلِ الأثرَ السيئِ الذي كان نتيجة اختلاف المتأخِّرين وإصرارِهم عليه، بخلافِ اختلاف السلف، فلم يكن له أي أثرٍ سيئٍ في الأمَّة.

ولذلك فهم في منجاةٍ من أن تشملَهم آيات النهي عن التَّفرُّق في الدين، بخلاف المتأخِّرين. هدانا الله جميعًا إلىٰ صراطِهِ المستقيم.

ولَيْتَ أنَّ اختلافَهم المذكورَ حَصَلَ ضررُه فيما بينهم ولم يتعدَّه إلىٰ غيرهم من أمَّة الدَّعوة، إذًا لَهَانَ الخطبُ بعض الشَّيء، ولكنَّه -ويا للأسف- تجاوزهم...»:

الشَّيخ يتكلَّمُ عن بُعدٍ ثانٍ، وهو أنَّه أثرٌ، ما فقط علىٰ أمَّة الإجابة الذين تَمَذهبوا، أمَّة الدَّعوة -يعني- غير المسلمين، ممَّن يسمعون بالإسلام ويرونَه مذاهبَ.

ويا للأسفِ، تجاوزَهم إلىٰ غيرِهم مِن الكفَّار في كثيرٍ مِن البلادِ والأقطَارِ؛ فصدُّوهُم بسببِ اختلافِهم عن الدُّخول في دين الله أفواجًا.

جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل: مُحَمَّد الغزالي السَّقَّا[١]، ما نصُّه:

«حدث في المؤتمر الذي عُقد في جامعة «برنستون» بأمريكا، أنْ أَثَارَ أحد المُتحدِّثين سؤالًا كثيرًا ما يُثارُ في أوساطِ المُستَشرقين والمُهْتمِّين بالنَّواحِ الإسلاميَّة، قال: بأي التَّعاليم يتقدَّم المسلمون إلىٰ العالم ليحدِّدُوا الإسلام الذي يدْعُون إليه، أبِتَعالِيم الإسلام كما يفهمها السُّنِّيون، أم بالتَّعاليم التي يَفْهَمها الشِّيعة، مِن إمَامِيَّة أو زَيْدِيَّة؟

ثم إنَّ كلًّا مِن هؤلاءِ وأولئك مختلفُون فيما بينهم، وقد يفكِّر فريقٌ منهم في مسألةٍ ما تفكيرًا تَقَدُّمِيًّا محدُودًا، بينما يفكِّر آخرون تفكيرًا قديمًا متزمِّتًا.

والخُلاصة: أنَّ الدَّاعِين إلىٰ الإسلام يَتْركُون المَدْعُوِّين إليه في حيرةٍ؛ لأنَّهم هم أنفسهم في حيْرة».

هو يقول هذا: إنَّهم في حيْرةٍ، وهو الذي في حيْرةٍ.

وأقول الآن: لقد كَشَفَتْ كتاباتُ الغزالي الكثيرةُ في أيَّامِه الأخيرةِ - مثل كتابه الذي صدر أخيرًا بعنوان «السُّنَّةِ النَّبويَّة»- ولقد كنَّا نَلمَسُ منه قبلَ ذلك من بعضِ أحاديثِهِ ومناقشتِنا له في بعض المسائلِ الفقهيَّة، ومن

(١) وهذه المُقدِّمة قديمة، وكان لا يَظهرُ منه إلَّا خيرٌ، ولكنَّ الشَّيخ لم يتركه، بل يَرُدُّ عليه.

بعض كتاباته في بعض مؤلَّفاته -ما يَنمُّ عن مثل هذه الحيْرة، وعن انحرافه عن السُّنة وتحكيمه لعقلِهِ في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، فهو في ذلك لا يرجع إلىٰ علم الحديث وقواعده، ولا إلىٰ العارفين به والمتخصِّصين فيه، بل ما أعجبه...

إلىٰ أنْ قال:

«وقد قام كثيرٌ من أهل العلم والفضل -جزاهم الله خيرًا- بالرَّدِّ عليه، وفصَّلوا القول في حيْرته وانحرافه، ومن أحسنِ ما وَقَفْت عليه: ردُّ صاحبُنا الدُّكتور ربيع بن هادي المدخلي في مجلة «المجاهد» الأفغانية، ورسالة الأخ الفاضل صالح بن عبد العزيز بن مُحَمَّد آل الشَّيخ، المسمَّاة «المعيار لعلم الغزالي».

لكِنَّ الرَّدَّ عليه كثيرٌ، ردَّ عليه علماء، وردَّ عليه جُهَّالٌ لا يُلْتفَت لردودهم؛ لأنَّهم جُهَّالٌ، ولكن ردود أهل العلم يُستفاد منها العلم، فردَّ عليه الشَّيخ ربيع في مجلة «المجاهد»، وأفرد ردَّه بردٍّ مُفردٍ، في الرَّدِّ علىٰ الغزالي، وناقشه، وأيضًا الشَّيخ صالح آل الشَّيخ».

وانظر، الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا مَرَّ الرَّجُل ذَكرَ له حاشِيةً؛ ما أرادَ أن يُطِيلَ، بل اكتفَىٰ بأهل العِلْم الذين رَدُّوا، هل كَوْن الشَّيخ ناصر لمَّا يتتَبَّع «السَّقَّا» فيمَا وقع فيه مِن أخطاءٍ -معناه أن هؤلاء أخطؤوا في الرَّدِّ عليه؟ هل

يلزم أهل العلم كلُّهم أن يردُّوا علىٰ مُحَمَّد الغزالي؟!

فمن وصلها كفىٰ، فإذا ردَّ عالم من العلماء؛ اكتفوا، وقد كان ابن سحمان يسمُّونه «صاحب الرُّدود»؛ لِأنَّه كان يردُّ ويُنافِحُ، أتىٰ بعده الشَّيخ حمُّود التِّويجْري رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان يُلقَّب بـ«صاحبِ الرُّدودِ»، وفي زماننا الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي -وفقه الله- «صاحب الرُّدود»، كلُّهم يذبُّون عن السُّنة، ومع ذلك يُثني عليهم أهل العِلْم ويكتفون أنَّهم كفَوْهُم هذا الجانب، وهذه نعمةٌ من الله تبارك وتعالىٰ، أنْ يقوم قائمٌ مِن أهل العلم فيكفي إخوانه.

وفي مقدِّمة رسالة «هديَّة السلطان إلىٰ مسلمي بلاد جابان»، للعلَّامة مُحَمَّد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ- وكان هذا المعصومي في مكَّة؛ حيثُ سُجِن أيَّام الشَّريف؛ لأنَّه كان داعيةَ سنَّةٍ، فكَان يُحذِّر مِن الشِّركيَّات، ويوم فتح المَلِك عبد العزيز كان له النَّصر؛ فالحمدُ لله، كثيرٌ من الأماكن دانَت، وأمَّا بالنِّسبةِ لمكَّة؛ فاستجابَ أهلُها، وهو مِن ضِمنِ مَن أُخرِجَ مِن السِّجنِ-، وَرَدَ عليه سؤالٌ من مُسلِمِي بلاد جابان -يعني اليابان- من بلدة «طوكيو، أوساكا» في الشَّرق الأقصىٰ، حاصله:

ما حقيقةُ دين الإسلام؟ ثُمَّ ما معنىٰ المذهبِ؟ وهل يلزمُ مَن تشرَّف بدينِ الإسلامِ أنْ يَتَمذهبَ علىٰ أحد المذَاهِب الأربعة، أي: أنْ يكون مالكيًّا، أو حنفيًّا، أو شافعيًّا، أو غيرها، أو لا يلزم؟ لأنَّه قد وقع هُنا اختلافٌ عظيمٌ،

ونزاعٌ وخيمٌ، حينَما أرادَ عدَّة أنفارٍ مِن مُتَنوِّري الأفكار مِن رجال «يابونيا»، أن يخلُّوا في دين الإسلام، ويتشرَّفوا بشرفِ الإيمان؟

فعَرَضُوا ذلك علىٰ جمعيَّة المسلمين الكائنةِ في «طوكيو»، فقال جمعٌ مِن أهل الهند: ينبغي أنْ يَخْتارُوا مذهبَ الإمام أبي حنيفة؛ لأنَّه سِرَاج الأمة، وقال جمعٌ من أهل «أندونيسيا، جاوة»: يلزم أن يكونوا شافعيَّة.

فلمَّا سمع الجابَانِيُّون كلامهم تعجَّبوا جدًّا، وتحيَّروا فيما قصدوا، وصارت مسألةُ المَذاهِبِ سَدًّا في سبيل إسلامهم.

يعني كانت مانعًا، التَّمَذْهبِيَّة.

ويزعم آخرون أنَّ معنىٰ هذا الذي تدعون إليه من الاتِّباع بالسُّنَّة وعدم الأخذِ بأقوال الأئمَّة المخالفة لها، ترك الأخذ بأقوالهم مُطلقًا، والاستفادة من اجتهاداتِهم وآرائِهم.

فأقول: إنَّ هذا الزَّعم أبعدُ ما يكون عنِ الصَّواب، بل هو باطلٌ ظاهرٌ البُطلان، كما يبدو ذلك جَلِيًّا من الكلمات السَّابقات؛ فإنَّها كلُّها تدلُّ علىٰ خلافِهِ، وأنَّ كلَّ الذي ندعو إليه إنَّما هو ترك اتِّخاذِ المذاهبِ دينًا، ونصبِها مكان الكِتَاب والسُّنَّة، بحيث يكون الرُّجوع إليها عند التَّنازع، أو عند إرادة استنباط أحكامٍ جديدةٍ لحوَادِث طارئة، كما يفعل متفقِّهة هذا الزَّمان، وعليه

وضعوا الأحكام الجديدة للأحوال الشَّخصيَّة، والنِّكاح، والطَّلاق، وغيرها، دون أنْ يَرْجِعُوا فيها إلىٰ الكتاب والسُّنة؛ ليعرفوا الصَّواب منها مِن الخطإ، والحق من الباطل.

هذا ردٌّ علىٰ الَّذين يريدون تقنِينِ الشَّريعة، يعني: يجعلونها علىٰ شكل قانونٍ، وإنَّما علىٰ طريقة: اختلافهم رحمة، وتتبُّع الرُّخَص والتَّيْسِير أو المصلحة، زعموا!

وما أحسن قول سليمان التَّيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ أخذتَ برخصةِ كلِّ عالمٍ، اجتمع فيك الشرُّ كلُّه»، رواه ابن عبد البَر.

صحيحٌ، فمَن تتبَّع رُخَص العلماء كان علىٰ غير دينٍ؛ لأنَّ العالمَ الفلانيَّ رخَّص في مسألةِ كذا، وهذا له أصولٌ، وهذه المسألةُ علىٰ ما اختاره، وهذا كذا، وهذا كذا، فهذا يبحثُ عن رُخَصِ العلماء، هذا -لا شكَّ- علىٰ غير دين؛ لأنَّ رُخَص العُلمَاء فيما وقَعُوا فيه زلَّات، ليست هي الدِّين، لذلك سُمِّيَتْ رُخَصًا.

وقال عقِبَهُ: «هذا إجماعٌ لا أعلم فيه خِلَافًا، فهذا الذي تنكره وهو وفق الإجماع كما ترىٰ، وأمَّا الرُّجوع إلىٰ أقوالِهم والاستفادةُ منها والاستعانةُ بها علىٰ تفهُّمِ وجهِ الحقِّ فيما اختلفوا فيه ممَّا ليس عليه نصٌّ من الكتاب والسُّنَّة».

نعم، «وأمَّا الرُّجوعُ إلىٰ أقوالهم والاستفادةُ منها...».

إذًا، هذه الأمورُ التي نقَلهَا في الرَّدِّ علىٰ هذه الشُّبهات، وأنصح الجميع بالرُّجوع إلىٰ هذه المقدِّمة، فالحقيقة فيها تقعيدٌ علميٌّ، ومسائلُ مهمَّةٌ في الاتِّباعِ والحفاظ عليه.

المجلس الخامس

طالب العلم والكتب

المجلس الخامس
طالب العلم والكتب

ظهَرتْ ظاهِرةُ العُزوفِ عن العلماءِ، وكان السَّبب في ذلك رجلٌ يُدْعَىٰ بـ«محمود الحدَّاد»، وهذا كان في «الرِّياض»، ولم يتَلقَّ عن العلماء، وكان هناك شيخُ الشُّيوخ: ابنُ بازٍ، وما عُرِفَ عنه مُجالسةٌ عنده، ثم انتقل إلىٰ «المدينة النبوية»، وكان فيها كوْكَبةٌ مِن أهلِ العلم: الشَّيخ حمَّاد الأنصاري، الشَّيخ عبد المحسن العباد، الشَّيخ مُحَمَّد أمان، الشَّيخ عمر فلاتة، رحم الله من مات منهم وخَتَم للحيِّ بخير، ولا عرف عنه تلقٍّ عنهم.

إنَّما كان يأتي مكتبة الشَّيخ حمَّاد، ويصوِّر منها، فيقولون، هو وأتْباعُه: نحن نعتمِد علىٰ كلام السَّلف؛ فضَلُّوا، لأنهم أنْزَلوه وفق ما يرَوْن؛ فانْحرَفُوا، فهذا بسببِ الاعْتِمَاد علىٰ الكُتُب دون الرُّجوع إلىٰ العلماء؛ فبذلك هجروا أهل العلم.

أيضًا تؤدِّي هذه الطَّريقةُ إلىٰ الزُّهد في العلماءِ؛ يقول: أنا مع أحمد بن حنبل، أنا مع البخاريِّ، أنا مع الآجُرِّي، أنا مع العُكْبريِّ، أنا مع البربَهَاريِّ،

لستُ في حاجةٍ إلىٰ هؤلاء حتَّىٰ أجلسَ معهم، أنا مع أولئك؛ أجلس وأقرأ كُتُبَهم، وأطَّلع عليها وأنظر ما فيها!

والزُّهد في العُلمَاء دليلٌ علىٰ الحِرمان؛ لِأنَّ مَن ليس له نسبٌ في العِلْم كمن ليس له نسَبٌ في الرَّحِم، فمن لم يعرف علماءه كمن لا يعرف آباءه، وطالب العلم يعرف بنسبه، فإذا تُرجم له؛ قيل: فلان بن فلانٍ، وشيوخه فلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ، وليس هناك أحدٌ مِن أهل العلم عندما يُتَرْجَم له يكون أبتر دون علماء تلقىٰ عنهم، فانتهبوا لهذا.

أيضًا أنه يُغرِبُ في المسائل، ويتتبَّع الغريب والشَّاذ والنَّادر.

وممَّا قال الإمام مالكٍ: «شرُّ العلمِ الغريبُ». لأنَّ العلمَ هو المشهور

وقيل: إنَّ أحدهم عابَ أحد العلماء، قال: أنت تحدِّثنا بما نعرف.

قال: يا بُنَي، ما لا تعرف ليس بعلمٍ.

العلم معروفٌ؛ قرآنٌ وسُنَّة، ولذلك تجدون هؤلاء الَّذين لم يتعلَّموا العلمَ لا يربطون النَّاس بالكتاب والسُّنَّة، فأعيَتهم الآثارُ والأدلَّة ووقعُوا في الكلام، وفي هذا العصر وقعوا فيما يسمىٰ بالعلوم العقليَّة، وهي أقرب إلىٰ علم الكلام، مثل ما يسمَّىٰ بالبرمجَة العصبيَّة، القبَّعات السِّت، العادات السَّبعُ، أيقظِ العملاقَ، حرِّك الكامن، اكتشف زلَّاتك، وهكذا يسمُّونها

دورات، وهي في الحقيقة ضلَالات، اكتشف ذاتَك، أين أنت؟!؛ فهؤلاء أعْيَتهم الآثارُ والأدلَّة، ولذلك بها يفتخرون، ويتلقَّون المدرِّبَ العالميَّ الحائزَ علىٰ الشَّهادة الأولىٰ، الخرِّيج من المعهد الأمريكي، وهكذا.

بل وصل الحال إلىٰ أن يريدوا أن يسلِّموا هذه العلوم؛ فيوردون الآيات ويوردون الأحاديثَ، حتىٰ يُبَرهِنُوا أنَّ هذا الكلام صحيحٌ، وهي أساليب تِجَاريَّةٌ لترويجِ البضائع قائمةٌ علىٰ اللَّفِّ والدَّوران، قائمةٌ علىٰ الكذبِ والتَّملُّق والتَّصنُّع، فتجد الحركات تمثيلًا، والعبارات تمثيلًا، ورفع الأصوات وخفض الأصوات، وهكذا، وأصل هذا العلم قام به البوذيَّة، وطُوِّر عند النَّصرانيَّة، وأُتِيَ به إلىٰ الشُّعوبِ الإسلاميَّة علىٰ أنَّه نوعٌ من أنواع العلوم، ونَمطٌ مِن أنماطِ المُمارسات والحياة الإداريَّة، وهكذا.

هذه هي الأسبابُ التَّي توقَع طالبَ العلم في المخالفةِ عندما يعتمدُ علىٰ الكتب ابتداءً دون التَّلقِّي، أمَّا مَن تلقَّىٰ عند العلماء، ثمَّ تبحَّر في العلم؛ فهذا نورٌ علَىٰ نُور.

مباحث أو كلمات في الكتاب:

ما هو الكتابُ الَّذي تريد أن تعتَني به؟

أولاً: العنايةُ بكتبِ العقيدةِ:

مثل: كُتُبِ أئمَّة الدَّعوة في عصرنا: الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ومَدْرَسته، كتبٌ سهلةٌ بسيطةٌ إذا أدركها طالبُ العلم؛ استطاع أنْ يَعْرِف عقيدتَه، وعلَىٰ إثْر ذلك قامَتْ أمَّةٌ وكِيَانٌ، وبَقِيَت دعوة، «القواعد الأربع»، و«الأصول الستَّة»، و«كشف الشبهات»، و«الأصول الثلاثة» يعتني بها طلب العلم، فإنْ أراد التَّبحُّر: كتاب «التوحيد»، و«الواسطية»، وغير ذلك، و«الواسطيَّة» لها شروحٌ كثيرةٌ، وتلك الكتب -أيضًا- لها شروحٌ يعتني طالب العلم، خاصَّة ونحن في هذا الزَّمان.

أيضًا أصبحَتْ مِن مصَادر التَّلقِّي: الأشرطةُ، والكمبيوتر مِن خلال الأقرصةِ المُدْمَجةِ، أو مِن خلال الإنترنت، أو مِن خلال البالتوك، ولَاشكَّ أنَّ هذه ليست مُمَاثِلةً للجُلوس في مجْلِس العِلْم؛ فقد ذكَرْنا فيما مضىٰ جملةً مِن الفروق في مجلسِ العلم عن القراءة المجرَّدة.

أيضًا، تعتني بكتب الأدب والعلم كـ«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البرِّ، وهو كتاب نفيسٌ، أو «الآداب الشرعية» لابن مُفلحٍ.

أيضًا، تستعين بما يقيم لسانك في النَّحو كـ«الآجرُّومية»، و«قطر الندىٰ»، و«الألفيَّة» مع «شرح ابن عقيل»، وهكذا.

أيضًا، كتب الفقه، وفي الحديث يحفظ «الأربعين النوويَّة»، يحفظ «عمدة الأحكام»، «بلوغ المرام»، «منتقىٰ الأخبار»، «صحيح البخاري»، «صحيح

مسلم»، السُّنن، وهكذا يعتني بالأدلَّةِ.

فيقرأُ الطالبُ المبتدئ بالمختصَرات، ثُم المُتوسِّطات، ثم المطوَّلات، أمَّا أن يبدأ الطالبُ المبتدئُ بكتاب «المغني»، وكتاب «المُحلَّىٰ»، و«الفتح» وهو لا يزالُ لم يتَأسَّسْ في العِلمِ، هذا ربَّما يقرأ، ولكن لا يفهم، كالصَّغيرِ الذي لا يزال في الرَّضاعة، كيف له أنْ يَهْضِمَ اللَّحم؟!

هذه وجبةٌ بحاجةٍ إلىٰ مَن يهضمُها، وليس إذا أكلها غصَّ بها أو كانت وعكةً في بطنه، ولذلك يبدأ بالحليبِ، ثم ما ينقع فيه ويفتُّ فيه، حتَّىٰ يستقيمَ عودُه، وتخرج أسنانُه، ويستطيعُ بعد ذلك أنْ يأكلَ ويقطعَ ويهضِمَ، هكذا طالبُ العلم عندما يتناول المسائلُ الكبار، وهو لا يزَال في سِنِّ التَّحصيلِ، ربَّما يتعبُ، ربَّما يصاب بصدمةٍ؛ فلو كُنتَ علَىٰ طريقِ الأوَّلين، لوَصَلْتَ إلىٰ ما وصلوا إليه:

الْيَـــوْمَ عِلْـــمٌ، وغَـــدًا مِثْلُـــه ... مِـــنْ نخـــبِ العِلْـــمِ الَّتِـــي تلـــتقط

يُحَـــصِّل المَـــرْءُ بِهَـــا حِكْمَـــةً ... وإنَّمَـــا الـــسَّيْلُ اجْتِمَـــاع الـــنُّقَط

فمَنْ رامَ العلم جملةً واحدةً؛ ذهب عنه جملةً.

ومِن أجمل الكتب المعاصرة في «الأصول» كتابُ الشَّيخ ابن عُثَيْمين - رحمة الله عليه- «الوصول في أصول الفقه»، وأيضًا كتابات ابن سعدي في «القواعد»، فيقرأ فيها، يقرأ «شرح الروضة»، وهناك شرحٌ جميلٌ عليها لابن

بدران، أيضًا يقرأ «شرح الكوكب» لابن النَّجَّار، وكتابات ابن سعديٍّ في القواعد، فهي جميلةٌ.

فالتَّفسير يبدأ في ابن سعدي، فهو لطيفٌ، واضحُ العبارة، يُوصِّلُ المَعْنىٰ، وأيضًا ابن كثيرٍ، ويتوسَّع بعد ذلك في الشِّنقِيطيِّ «أضواء البيان»، أو في «الطَّبريِّ»، أيضًا يتعلَّم الفَرَائض كـ«الرَّحبيَّة»، السِّيرة: «كالفصول من سيرة الرَّسُول» لابنِ كثيرٍ، أو المختصرين، «مختصر السِّيرة»، أو «مختصر زاد المعاد» للشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، وإِنْ علت همَّته، وقرأ في «سيرة ابن هشام»، و«زاد المعاد» فـ «زاد المعاد»، أفضل وأَوْلَىٰ، يَتعلَّم منه أمرَين: سيرة المصطفىٰ ﷺ العمليَّة، وأيضًا يتعلَّم منه نواحيَ فقهيَّةً، يقتدي فيها بالنَّبيِّ ﷺ، فيعتني بنَوْع الكتاب.

قبل أن يشتريَ الكتابَ لا بُدَّ أن يسأل، لا تغرنَّك العناوين، لا بُدَّ أن تهتمَّ بالمَضَامِين، فتسأل العلماءَ عن هَذَا الكتاب، وعن ذاك الكتاب، وهكذا، حتَّىٰ يكون جَمْعُك جمعًا مفيدًا.

الفائدة الحقيقية بين كتب الأوَّلين والمتأخِّرين:

بعض النَّاس قد يجمعُ كُتُبًا غير مفيدةٍ، فيكون جمعُهُ جمعًا بلا فائدة، ربَّما تكون هَذَا مكتبتُهُ أقلَّ من مكتبة الثَّاني، ولكنَّ هَذِهِ فيها من نَفَائس العلم، بخلاف تلك الَّتي فيها حشوُ الكُتُب، إذا أراد أن يختارَ، فليعتنِ بكُتُب

الأوَّلين؛ كُتُب السَّلف الصَّالح؛ لأنَّ العلمَ فيها كثيرٌ، والكلامَ فيها قليلٌ، وعلىٰ النَّحو الآخر ربَّما تفتح كُتُب المُتأخِّرين، وتُقلِّب الصَّفحات تلو الصَّفحات، فلا تمرُّ بك أحاديثُ، ولا آياتٌ، فحينئذٍ لا يكون هَذَا علمًا، هَذَا كلامٌ، حتَّىٰ بَعْض المُتأخِّرين لمَّا تفتح كتابه، لا تجد له كلامًا، غالبُ ما فيه آياتٌ وأحاديثُ، ربَّما في الصَّحيفة الواحدة تجدُ أكثَرَ من عشرِ آياتٍ، وخَمْسة استدلالاتٍ وأثَرَين، ونقلًا عن علماء؛ هل هَذَا علمٌ؟! بخلاف الَّذي يجعله كلامًا فقط.

ونجدأن مَيْزة كُتُب الأوَّلين: أنَّها مليئةٌ بالأدلَّة، فنجدهم يَنْتَصِرون لذلك بالأَحَاديث، ويُحقِّقون، ويُخرِّجون، بخلاف كتب المُتأخِّرين الَّتي امتلأت بالتَّعصُّب في الغالب مع كَثْرة الكلام، إنَّ مَيْزة كُتُب المُتقدِّمين أنَّ فيها حكاية الرِّواية؛ ففيها الرِّواية عن الصَّحابة وعن التَّابعين، فيذكُرُونها، خاصَّةً الكُتُب المسندة، وهَذِهِ تجعل في النَّفس مزيدًا من الطُّمأنينة والقوَّة في المُعْتمد عليه، والمتَّكِإ؛ أنَّه منقولٌ بسندِهِ، وهكذا.

فلكُتُبِ الأوَّلين مَيْزاتها، إذن وجب الاعتناء بكُتُب الأوَّلين.

ومن أمثلة ذلك في العقيدة: كُتُب الإمام أحمد: كتاب «السُّنَّة»، و«الشَّريعة» للآجرِّي، و«السُّنَّة» للمروزيِّ، و«السُّنَّة» للخلَّال، و«السُّنَّة» للبربهاريِّ، أيضًا كُتُبُ ابن منده: كتاب «الإيمان»، كتاب «التَّوحيد» لابن

منده، وهكذا، كتبٌ كثيرةٌ في العقيدة.

أيضًا كُتُبٌ لهم في الحديث: كـ«صحيح البخاريِّ»، و«صحيح الإمام مسلم»، وإنَّك لتعجب حين تجدُ طالبَ علمٍ، له عشرون سنةً يطلب العلم، ومع ذلك لَمْ يقرأْ «صحيح البخاري»، ولَمْ يقرأ «صحيح الإمام مسلم»، وإنْ قَرَأَه فهي قراءةٌ قديمةٌ، لا بُدَّ أَنْ يكون منك إدمانُ نظرٍ في السُّنَّة.

وإنَّ خيرَ ما أنصح الجميعَ بقراءتِهِ، كتاب: «صحيح الجامع»؛ فهو مفيدٌ، وكذلك «ضعيف الجامع»، وبقراءته تستطيع أَنْ تنظرَ إلىٰ خمسة عشر ألف حديثٍ، أو ستَّة عشر ألف حديثٍ ما بين صحيحٍ وضعيفٍ، فتصبح الأُمُور بين يديك، فأَكْثِرْ من القراءة.

القراءة كمًّا وكيفًا:

بَعْضُ العلماءِ يَذْكر أنَّه قرأ بعضَ الكُتُب أربعين مرَّةً، وبَعْضهم يقول: خمسين مرَّةً، وهَكَذا تجد في تَرَاجم العلماء؛ أنَّه قرأ كذا كذا مرَّةً، وهَذَا ليس بصعبٍ، فالمُوفَّق يختم القُرآن في الشَّهر ثلاثَ أو أربعَ أو خمسَ مرَّاتٍ، وهكذا، لكن أقلَّ القليل أنَّه يختِمُهُ في الشَّهر مرَّةً، ومع ذلك ربَّما تمرُّ علينا أشهرٌ -نَسْأل الله أن يعفوَ عنَّا- ما خَتَمْنا القرآن.

فيَنْبغي له أَنْ يُدْمِنَ النَّظَرَ في الكتاب والسُّنَّة حتَّىٰ يكون سريع الاستحضار

للحُجَّة والدَّليل، ومَنْ أبعدَ النَّظَرَ أَعْيته الحُجَّة، ومَنْ أدمنَ النَّظر أصبحت بين يديه -بإذن الله.

ودَعْ عنك هَذِهِ القصاصات، فما بَيْن هَذِهِ الكتابات نظراتٌ، وجلساتٌ، وومضاتٌ، قبساتٌ، وكلماتٌ، ومطويَّاتٌ، كل هَذِهِ (سندوتشات)، فليست بعلمٍ، تَجعل عنده رؤوسَ المسائل، لكن ليست بعلمٍ يُسْتند عليه، يعني: لا تخرج لنا علماء، إذا مات علماؤنا، كان هؤلاء مكانهم؟ لا يكون عنده ثقافةٌ إسلاميَّةٌ، نحن لَسْنا في حاجةٍ إلىٰ هذا، نحن في حاجةٍ إلىٰ عُلَماء.

وقد وَصَلَ هذا الأمر المشين إلىٰ الجامعات؛ حيث ترك الطُّلاب الكُتُبَ، وَاعْتَمدوا علىٰ المُذكِّرات، ولا شكَّ أنَّ هَذَا ممَّا يضرُّ طالبَ العلم، فلا بُدَّ لطالب العِلْم أَنْ يتعرَّف علىٰ الكُتُب، وأَنْ يبحثَ فيها، وأَنْ ينظرَ فيها، ولا يعتمد علىٰ شيءٍ آخر، كيف بهَذَا الزَّمان، وهَذِهِ الفهارس.

وإليك هذا الشَّاهد:

أذكُرُ مرَّةً أنَّ شيخَنا: الشَّيخ مقبل الوادعي -رحمة الله عليه؛ حيث كنَّا في المكتبة عنده، وكان ذلك قبل أحداث العراق والكويت- قال: «أخرجُوا لي حديثَ كذا»، ثمَّ ذكره، فذهبنا للمكتبة، وكان يريدُ أن ينظُرَ: أيُّنا يأتي بالتَّخريج أوَّلًا، فذهبْتُ إلىٰ «صحيح الجامع»؛ لأنَّه مُرتَّبٌ، ويذكُرُ الرَّاوي، ومَنْ أخرجه، لا بُدَّ أَنْ تعرِفَ مُصْطلحات المُحدِّثين، إذا ذكر (ق)؛ يعني: في

البخاريِّ ومسلمٍ، وأحيانًا يذكر: (م)، وأحيانًا أخرىٰ: (خ)، وهكذا، فوجدتُ الحديثَ، وأتيتُ به، قلتُ: هَذَا الحديثُ رَوَاه فلان، وأَخْرَجه فلان.

قال: ائتِ بِهِ من المَصَادر، ثمَّ تكلَّم بكلامٍ جميلٍ، قال: إنَّ هَذِهِ الفَهَارِسَ عَلَّمَتْ طُلَّابَ العلمِ الكسلَ، إنَّنا لَنبْحَثُ عن الحديث، وربَّما أَخَذَ مِنَّا الأيَّام واللَّيالي، فيأتي أَحدكُمْ ويقول: ها قد وجدتُ الحديثَ!

إنَّ النَّاظِرَ والبَاحِثَ في كُتُب العُلَماء، يجدُ الكثير من الفَرَائد ولَطَائف العلمِ تمرُّ، فتَتَحَصَّل علىٰ علومٍ أُخْرىٰ، ما كنت لتحصل عليها لولا أنَّك بحثتَ.

أقول: كَيْف لو أدرَكَ شَيْخنا -رحمة الله عليه- الأقراصَ المُدْمَجَة الآن بالكمبيوتر بضغطةٍ واحدةٍ، وإذا بك بَحَثْتَ في أَكْثر من ألفِ مرجعٍ، لا شَكَّ وَصَلْتَ إلىٰ بُغْيَتِك، لكن فَاتَكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فالبَحثُ في الكُتُب تَزْداد بها معرفةً، تعرف نفس المُؤلِّفين، ما تهجر الكُتُبَ أيضًا، رحمهم الله.

كيفية التَّعَامُلِ مَعَ الكِتَابِ

إن الكتابَ أَغْلىٰ من الأبناء؛ ففيه العلمُ، إذًا، تعاملُك مع الكتاب لا يقلُّ عن تعامِلك مع أبنائك، وتعامُلك مع الكتاب معيار التَّوصيف لعلاقتك بالعلم، فعليك بالخطوات السَّليمة لذلك، من خلال التعرُّف علىٰ ما يلي:

أولاً: اختيار طبعات الكتاب:

اختر الطَّبعةَ الجيِّدة، ولا يَغُرَّك بريقُ الكتاب، وقَدْ حَوَىٰ الشَّرَّ؛ بل خُذْ مِن الكُتُب الصَّافية النَّقيَّة، وكَمَا ذَكَرْت لكم في المَجَالِس السَّابِقَة ممَّنْ صَفَا في عقيدتِهِ، وَصَفا في مشربِهِ، في دعوتِهِ، في استدلالِهِ، فهَذَا يكفِيك العَنَاءُ، قراحٌ مُصفًّىٰ، جاهزٌ.

فلذلك، لمَّا تقرأ في كُتُب السَّلف، تقرأ بكلِّ اطمئنانٍ، لا تجد في نفسك حرجًا لِمَا تقرأ في كُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ابن القيِّم، تجدها صافيةً صفاءَ السَّماء في رابعةِ النَّهار، لا تجدُ فِي نَفْسك حرجًا عندما تَقرَأ كُتُب الشَّيخ ابن بازٍ، أو الألباني، أو ابن عثيمين، تجدها صافيةً، مُتميِّزةً، مليئةً بالأدلَّة.

إذًا، أَدْمِنِ النَّظر في هَذِهِ الكُتُب، ففيها علمٌ غزيرٌ.

ثانيًا: الكتابةُ والتَّعليق على الكتابِ، تَضْبط العلمَ:

فبعض النَّاس من طريقتِهِ: أنَّه يكتُبُ في ورقٍ خارجِيٍّ، ثمَّ يجعل ذلك في كشكولٍ، أو دفترٍ، أو كناش، هَذِهِ طَرِيقَةٌ يتَّخذُها البعضُ، وبعضهم يكتب علىٰ كتابه، وهناك مَنْ يُفضِّل هَذِهِ الطَّريقة، وتلك الطَّريقة، ولكنِّي أرىٰ أنَّ الكتابةَ علىٰ الكتاب أضبط للعلم، فَهِيَ مسألةٌ بجوار تلك المسألة، وتفريعٌ لذلك الأصل، فتَعْليقك علىٰ نفس الكتاب عند نفس الموطن هي طريقةُ

الأوَّلين، والفائدة بجوار المحلِّ، فإنْ كان غريبًا أو مُشْكلًا، فإذا به بجواره.

ثمَّ أيضًا اجعل هَذَا الكتابَ متينًا، جيِّدًا، فلَوْ قرأتَ مثلًا علىٰ الشَّيخ فلانٍ، مَيَّزتَ برمزٍ مُعيَّنٍ، وبعض طُلَّاب العلم كان يكتب حرف: (ز)، ويعني به ابن باز، وحرف: (ث)، ويعني به ابن عثيمين، وحرف: (ص)، وهكذا يُرَمِّز لكتاباته حتَّىٰ ينسب العلم لأهلِهِ، وربَّما يذكر التَّاريخ والمجلس والمكان، هَذَا أضبطُ في الزَّمان من حيث قوله، متىٰ قال هذا.

بل رُبَّما استخدمَ بَعْضهم الألوانَ في الأقلَام، يُمَيِّز بذلك قوله عن قول غيره من أهل العلم ممَّا دوَّن، فعندما يُدوِّن في كتابه جميعَ كلام العلماء، تُصْبح هَذِهِ النُّسخة نسخةً مُميَّزةً، ومع الزَّمن يصبح هَذَا الكتابُ ذا قيمةٍ؛ لأنَّه اشتملَ عامَّة التَّعليقات، فإذا قرأته، فإذا مشايخُك بين يَدَيك، تَذكَّرت فضلهم عليك، وإفادتهم لك، وتَرحَّمت عليهم، واستفدتَ، وأيضًا وجدتَ البُحُوث ونُقُولَك وكتاباتِك بين يديك، فهَذِهِ طريقةٌ جيِّدةٌ، تُسَاعد طالبَ العلم علىٰ أَنْ يجد الفائدة بسهولةٍ، وهي مُتميِّزةٌ.

التَّعليقُ علىٰ الكُتُب لا بُدَّ أن تراعيَ فيه عدَّةَ أُمُورٍ، لا يكن خَطُّك صغيرًا، اليوم نَظرُكَ جيِّدٌ، غدًا تكبر، يُصْبح نَظرُك ضعيفًا تحتاج إلىٰ نَظَّارةٍ، لكن اجعل كتابتك بخطٍّ واضحٍ، خطٍّ إذا أردتَ أن تقرأه تستطيع.

وأَذْكر لكم فوائدَ في طريقة الكتابة حتَّىٰ يكون الخطُّ مقروءًا، لا أقول:

الخطُّ جميلٌ، فهي مَلَكةٌ يقسِّمها الله لمَنْ يَشَاء، ولا أقول الإملاء صحيحٌ، فهَذِهِ أيضًا مسألةٌ بالدِّربة والاستمرار تأتيك، ولكن حتَّىٰ يصبح الخطُّ ممكنٌ قراءتُهُ، أو يكون بإمكان غَيْرك أن يقرأه، يمكنك أن تهتمَّ بما يأتي:

١- **نَوْعُ القَلَمِ المُستَعمِل ولونه**: أحيانًا أنت تجد قلمًا مُعيَّنًا كتابتك فيه سهلةٌ، بغضِّ النَّظر عن قيمة هذ القلم، ربَّما يكون بنصف ريالٍ، ربَّما يكون قلمَ رصاصٍ، ربَّما.

أحيانًا عندما تستعملُهُ تجد أنَّ خطَّك فيه أكثر وضوحًا من غيره، إذًا ركِّزْ علىٰ هَذَا القَلَمِ، وإنْ لم يكنْ هَذَا القلمُ ذا جمالٍ، اجعلْه في جيبِك الأيمنِ أو الأيسرِ، وَاجْعَلِ القَلَمَ مِمَّا تريد أن تَتَجَمَّلَ به في الجيبِ الأماميِّ، لكنَّ قَلَمَكَ الخاصَّ اجْعَله في جَيْبِك الَّذي لا تريد أَنْ يراه -مثلًا- أحدٌ؛ لأنَّه ليس بذاك الجميل، فنَوْع القَلَمِ يُسَاعِدُ.

لَوْنُ القَلَمِ المُسْتَعْمَلِ أحيانًا له أَثَرٌ علىٰ وضوح الخَطِّ، بعض النَّاس يقول: «أنا خَطِّي بالأحمر جميلٌ». وبعضهم يقول: «خَطِّي بالأخضر جَمِيلٌ». وبعضهم يقول: «بالأسود». وبعضهم بالأزرق، وبعضهم بالحِبْر السَّائل، وبعضهم بالحِبْر الجافِّ... إلخ.

إذًا أنت تستعمل الجَيِّدَ، وأنا أَنْصَحُ، وَلَيسَت هَذِهِ دعايةً لِنَوْعٍ مِنَ الأقلام، وهناك نَوْعٌ مِنَ الأقلام ضِدُّ الماء.

أَحَدُ الإخوة سَقَطَ كِتَابُهُ في الماء، فَحَزِنَ مَن بِجِوَارِهِ، وهو لم يَحْزَنْ: أخرجَ كتابه ثمَّ عَرَّضَهُ إلىٰ الشَّمْسِ، الَّذي حَزِنَ؛ حَزِنَ لِأَنَّ كِتَابَكَ سَقَطَ في الماء، وَسَتَذْهَبُ كتابتك؛ لأنَّه مُعْتَادٌ أَنْ يَكْتُبَ بِحِبْرٍ سَائِلٍ ريشة، وهَذَا لم يحزن؛ لأنَّه يعرف أنَّه يَكْتُبُ بـ «وُوتَر بُروف»؛ هَذَا قَلَمٌ ضِدُّ الماء، فَهُوَ كَاتِبُ قَلَمٍ ضِدِّ الماء، فَمَا خافَ علىٰ كتابِهِ لَمَّا أَتَاه المَاء، أَثَرُ المَاء باقٍ في كِتَابِهِ، وَلَكِنَّ كِتَابَتَهُ بَاقِيَةٌ ما تأثَّرَت بالماء، إذًا، استعمل هَذَا النَّوعَ؛ فَهُوَ جَيِّدٌ.

٢- **مسكةُ القَلَمِ**: وهي قدراتٌ، يعني تَرَىٰ: بعض النَّاس أحيانًا يُمْسِكُ القلم هكذا، بَعْضهم يمسكه هكَذَا، بَعْضهم يكتب كذا، إذًا مسكة القلم وطريقة الكتابة لها أثرٌ في وُضُوح الخطِّ.

٣- **نوعُ الوَرَق المستعمل**: أحيانًا بعض الدَّفاتر وَرقُها صفيقٌ، بعضها وَرقُها ناعمٌ، بعضها وَرقُها خَشِنٌ، أحيانًا قلمٌ مُعيَّنٌ علىٰ ورقٍ مُعيَّنٍ، يكون الخطُّ فيه جميلًا جدًّا، إذًا استعمل هَذَا النَّوع، استعمله لنَفْسك؛ كتاباتك، فوائدك، أشيائك، اجعلْها في هَذَا النَّوع، عندما وجدت هذا فيه له أثرٌ؛ أيضًا لا تُسْرِعْ في الكتابة، كِتَابتُك عندما تكون هادئةً، تكون واضحةً.

٤- **أمورٌ ضروريَّةٌ في وضوح الخطِّ**: كالحجم والكلمات والسُّطور؛ فممَّا يُسَاعد علىٰ أنَّ الخطَّ يُقرأُ: ألَّا تكتب بِخَطٍّ صغيرٍ، اجْعَل خطَّك معتَدِلًا، ليس كبيرًا؛ السَّطر فيه خمسُ ستُّ كلمات، وليس صغيرًا جدًّا كأنَّما هو أثرُ نملةٍ،

لا، اجْعَله واضحًا مقروءًا.

أيضًا ممَّا يُساعِد علىٰ وُضُوح الخطِّ: التَّباعد بين الكلمات، لا تكون الكلمة في الجوار ملاصقةً للكلمة الأخرىٰ، فلرُبَّما ذهب لها شيءٌ من النَّقط، فتَدَاخَلَتِ الكَلِماتُ؛ فَلَن تَستطيعَ أن تَقْرَأَ خطَّك، وماذا قيل فيمَنْ كَتَب؛ ولم يقرأ خطَّه: «فليرعْ مع الغنم».

وَضَعُ النُّقَطَ في مَحلِّها، هَذَا يُسَاعد عليه عدمُ الاستعجال، ويُسَاعد عليه التَّفريقُ بين الكلمات، فأنت تَضَع النُّقطة في مَحلِّها، حتَّىٰ لو لم يكن خَطُّك جميلًا، لكنَّه واضحٌ مقروءٌ.

أيضًا ممَّا يُسَاعد علىٰ ذلك: استعمالُ نَمَطٍ مُعيَّنٍ، نوعٍ من أنواع الخطِّ، لا تكتب برِقْعةٍ، نسخٍ، كوفيٍّ، هكذا، فتصير كِتَابتُك مُشَقْلَبَة، الكافُ مرَّةً تكتبها كوفيَّةً، ومرَّةً تكتب الكاف نسخًا، ومرَّةً تكتبها رِقْعةً، ومرَّةً تكتبها... اجْعَل لك نمطًا مُعيَّنًا في الكِتَابة علىٰ أساس أن تمشي علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ، وهَذَا مَا يَأخُذُ مِنْكَ شَيْئًا عندما تُعَلِّمُ نَفْسَكَ الكِتَابَةَ الصَّحِيحَةَ.

٥- كيفيَّة كتابة التَّعليقات والحواشي والرُّموز: فتجد أحيانًا البَعْضُ يُحَشِّي علىٰ كتَابِهِ، فيبدأ مِن هنا، ثمَّ ينزل هنا، ثمَّ ينزل هنا، لا بأسَ، هَذِهِ طَرِيقَةٌ مُستَعمَلَةٌ عِنْدَ الأَوَّلِينَ، ولكن حدِّد بداية كلامك؛ من أين بدايته؟.

فَيَجْعَلُ له نِجْمَةً دَائِرَةً، عددًا؛ حتَّىٰ يَعْرِفَ أنَّه بَدَأَ مِنْ هنا؛ لِأنَّك اليَوْمَ حَاضرُ الذِّهن، عارفٌ: مِن أين بَدَأتَ؟ وَأَيْنَ انْتَهَيْتَ؟ لَكِنْ غَدًا؛ بعد عشرين سنةً، إذَا مَرَرْتَ علىٰ كِتَابِكَ، وَأَرَدْتَ أَنْ تُرَاجِعَ فَائِدَتَكَ هذه، وإذا بِكَ لا تعرف أين البداية؟ فربَّما يتداخل الكلام بَعْضُهُ في بعضٍ، وَتَفُوتُ عَلَيْكَ الفائدة، أو بِحَاجَةٍ إلىٰ أن تُعِيدَ التَّرْكِيبَةَ: لا، بل بَدَأْتَ من هنا، لا، بل الكلام يَبْدَأُ من هنا! فَاجْعَلْ لك مَعْرِفَةً بِبِدَايَةِ الكتابة.

مِنْ بَرَكَةِ العلم -أيضًا- نِسْبَةُ القول لقائله، فإذا نَقَلْتَ نقلًا، يُتْبَعُ هَذَا النَّقْلُ بِمَحَلِّ العَزْوِ، بالصَّفْحَةِ والجزء، وإن كان رَقَمُ الطَّبْعَةِ، فيا حبَّذا، حتَّىٰ يَسْهُلَ عَلَيْكَ الرُّجوعُ، أو مَنِ اسْتَفَادَ مِنْ هَذَا الكتاب، يَسْهُلُ عليه الرُّجوع.

فَكَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ قد ماتوا ولهم حَوَاشٍ علىٰ الكتب، ولكن أَصْبَحَتْ تلك الحواشي كُتُبًا جديدةً، فَأُخْرِجَتْ وَأُفْرِدَتْ تلك التَّعليقات، فأصبحت كتبًا مُسْتَقِلَّةً.

فَنِسْبَةُ القول لقائله مِنْ بَرَكَةِ العلم؛ فَإِنْ كان مَنْقُولًا من كتابٍ تُحِيلُ إليه، وإن كان منقولًا سماعًا، فَيَذْكُرُهُ، و«سَمِعْتُ مثلًا كذا»، «شَيْخُنَا قال كذا».

أو مِثْلُ ما ذَكَرْتُ لكم؛ بَعْضُهُم يَجْعَلُ رُمُوزًا، والرُّموز لها في طرة الكتابِ مِفْتَاحٌ؛أي: «أَعْنِي بكذا: كذا وكذا»، فلعلَّك اليوم تَذْكُرُ، وربَّما غَدًا بَعْدَ ثلاثين سَنَةً مثلًا، ربَّما تَنْسَىٰ أصلًا: ما قَصَدْتَ بهذه؟! فاجعل لك

مفتاحًا؛ «أَعْنِي بكذا: كذا»، و«أَعْنِي بكذا: كذا».

٦- **الفهرسة والفوائد**: فاجعل لك في الكتاب فِهْرِسًا خاصًّا أثناء القراءة، عندما تَمُرُّ بِشَيْءٍ تَرْجِعُ إلىٰ طرة الكتاب، ثمَّ تقول مثلًا: «فائدةٌ في المسح علىٰ الخُفَّيْنِ ص(...)».

وعند الفَائِدَةِ تَجْعَلُ مَثَلًا عَلَامَةً؛ حتَّىٰ لا يَصْعُبَ عليك البحث؛ لأنَّ كلَّ كتابٍ له محتوًىٰ يُذْكَرُ فيه ما في المُؤَلَّفِ، وأنت جَعَلْتَ محتوًىٰ لِمَا قَدِ اسْتَفَدْتَ من هَذَا الكتاب، فَلستَ بِحَاجَةٍ إلىٰ الرُّجوع مَرَّةً أخرىٰ؛ فأنت لك فِهْرِسٌ مُسْتَقِلٌّ، في فوائدك أنت، رُبَّما مع الزَّمن يكون لك مَجْمُوعُ فَوَائِدَ تُخْرِجُهَا، كما أخرج بَعْضُهُم مَجْمُوعَ نُقُولٍ يَنْقُلُهَا، وَفَوَائِد قد استخرجها مِنَ المُؤَلَّفَاتِ.

هَذِهِ الطَّرِيقَةُ تُسَاعِدُ طَالِبَ العِلْمِ في أن يَجِدَ فَائِدَتَهُ العلميَّة، حتَّىٰ لَوِ اسْتَمَرَّ بِهِ الزَّمَنُ، فَيَجِدَهَا حَاضِرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثالثًا: أن تجعل الكتاب حاضراً في ذهنك:

وذلك بأن تعتني بما يأتي:

أ - العِنَايَةُ بالعُنْوَانِ عندما تبدأ؛ حتَّىٰ تَعْرِفَ هَذَا الكتاب.

ب- العنايةُ بالمُؤَلِّفِ؛ حتَّىٰ تَعْرِفَ علىٰ مَنْ تعتمد في هَذَا القول.

جـ - الفهارس؛ حتَّىٰ تعرف محتوىٰ الكتاب.

د - المقدِّمة؛ حتَّىٰ تَعْرِفَ مُرَادَ الكاتبِ من هَذَا الكتاب.

بهَذِهِ الأربع، حتَّىٰ لو لم تقرأِ الكتاب؛ فالكتاب بين يديك، تعرف عنوانه، فإذا عَرَفتَ عنوانه أصبح مِنَ السَّهْلِ أن تكون هَذِهِ المَسْأَلَةُ في الكتاب الفلانيِّ.

تَعْرِفُ مُؤَلِّفَهُ، بحيث إذا مَرَّتْ بِكَ المَسْأَلَةُ تَقُولُ: «نعم، هَذَا الكتاب الفُلَانِيُّ لفلانٍ، قَرَأْتُ مُقَدِّمَتَه، فَعَرَفْتُ مُرَادَهُ».

فَإذا مَرَّتْ بِكَ مَسْأَلَةٌ تقول: «نعم، الكتاب الفلانيُّ لفلانٍ، تَكَلَّمَ في مُقَدِّمَتِهِ عن كذا وكذا في كتابه، فهو أراد أن يتكلَّم عن كذا، قرأت المحتوىٰ والفهارس». تقول: «نعم، الكتاب الفلانيُّ لفلانٍ، الَّذي ذَكَرَ في مقدِّمَتِهِ كذا، قد تناول ذلك في كتابه من خلال الفهارس، رَأَيْتُ ذلك». هنا يُصْبِحُ هَذَا الكتاب حيًّا حاضرًا.

بَعْضُ أَهْلِ العلم إذا اشترىٰ كُتُبًا جديدة، أو أُهْدِيَتْ إليه، لا يَجْعَلُهَا في مكتبته، إلَّا بَعْدَ أن يُطَبِّقَ فيها هَذِهِ الأربع، إذا طَبَّقَ فيها هَذِهِ الأَرْبَعَ جَعَلَهَا، بل كان بعضهم لا يُطَبِّقُ هَذِهِ الأربعَ، بل ما هو أَشَدُّ، لا يجعل في مكتبته كتابًا إلَّا بعد قراءته، وإلَّا مَرْكُونٌ لا يَأْخُذُ مَكَانَهُ في الرَّفِّ.

وجدير بالذكر في مسألة الحضور الذهني:

ممَّا أُثِرَ عن شيخنا الشَّيخ عبد الله بن غديان هذا، حتَّىٰ نَقَلَ شَيْخُنَا الشَّيخ أحمد النَّجْمِيُّ عنه، أنَّه يقول: «طَالِبٌ لا يقرأ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ ساعاتٍ، هَذَا ليس بطَالِبِ عِلْمٍ؛ فَالهِمَّةُ في القراءة، وَكَثْرَةُ القراءة هَذِهِ بعد مرحلة التَّأْسِيسِ، أو أثناء مرحلة التَّأْسِيسِ؛ فقَبْلَ الدَّرْسِ يُحَضِّرُ، وأثناء الدَّرسِ يكون حاضر الذِّهن، بعد الدَّرس يذاكر، هَذِهِ من مصادر تَلَقِّي العلم في معاملته للكتاب.

رابعًا: إعارة الكتب:

نأتي إلىٰ مسألةٍ، وهي: الإعارة، وما أدراك ما الإعارة، إعارة الكتب ذكرها ابن سعديٍّ من الماعون الَّذي يتدافعه النَّاس، ويخدم بعضُهم بعضًا فيه، أنَّه لا يمنع الماعون، ولكن أحيانًا ربَّما هناك لُصُوصٌ يَسْرِقُون الكُتُبَ بِاسْمِ الِاسْتِعَارَةِ، وإذا كان الكتاب من مجموعة أجزاء، فهو يَخْرُمُ هَذِهِ الأجزاء؛ حينًا يأتيك يَبْغِي مثلًا الجزء الخامس، فيصبح هَذَا الكتاب مَبْتُورًا؛ أَرْجِعْ لي كتابي أو خُذِ المجموعة، إمَّا أن تُرْجِعَ لي كتابي أو تأخذ المجموعة، بل بَعْضُهُم اشْتَرَىٰ مجموعةً أخرىٰ؛ لأنَّ هَذِهِ المجموعة مخرومة، أين الَّذي استعار؟ ذهب!

فما ضاعت الكتب إلَّا بكثرة المستعيرين، فلذلك بعضهم يجعل لها دفترًا، يريد أن يَنْفَعَ إخوانه، لكن يريد أن يَضْمَنَ حَقَّه، بعضهم عنده خاتم، «اتَّقِ الله وَأَرْجِعْ لي كتابي»، اجعل خاتمًا، اتَّقِ الله، وأرجع لي كتابي، وخاتم

تعريفي، هَذَا مِلْكُ كذا كذا كذا، دَخَلَ مِلْكِي بالشِّراء أو بالإهداء أو هكذا». هَذِهِ العبارة تذكِّر البعض.

وبعضهم ينزع هذه الورقة التي فيها إثباتُ الملكيَّة، وتذهب معها: «اتَّقِ الله، وَأَعِدْ لي كتابي». وَيَجْعَلُ بَعْضُهُم عِنْدَ العنوان الأوَّل تكرارًا للختم، وهَذِهِ وَجَدْتُهَا في بعض المخطوطات، عند العنوان: «هَذَا الكتاب وقف كذا كذا»، ثمَّ داخل الكتاب عند الأبواب المتقدِّمة: «هَذَا الكتاب وَقْفٌ، هَذَا الكتاب وَقْفٌ».

وَبَعْضُهُم يَجْعَلُهَا في كلِّ الكتاب، وبعضهم يجعلها في أَوَّلِ الكتاب، وبعضهم في آخر الكتاب، كلُّ هَذَا تنبيهٌ إلىٰ أنَّ هَذِهِ أَوْقَافٌ، وفي بَلَدٍ مِنَ البُلْدَانِ وَجَدْتُ كُتُبًا تُوَزِّعُهَا الإفتاء تُبَاعُ فِي الأسواق، بل في بَلَدٍ من البلاد، الكِتَابُ مَكْتُوبٌ: «وَقْفٌ لله، لا يَجُوزُ بَيْعُهُ، وَيَحْرُمُ ذلك»، وَإِذَا به مِنْ ضِمْنِ المَعْرُوضَاتِ للبيع، وهَذَا الكتاب الَّذي وَجَدْتُ عليه: «وَقْفٌ يَحْرُمُ بَيْعُهُ» أَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً خاصَّة.

قُلْتُ: «كَيْفَ تَبِيعُ هَذا الكتاب وهو وَقْفٌ لله؟! أما تَتَّقِي الله؟»، قال: «أنا اشْتَرَيْتُهُ». فَتَجِدُ أَحْيَانًا عَدَمَ حُرْمَةٍ للمحسنين، وقد دوَّنوا علىٰ الكتب أنَّه لا يجوز بيعها؛ لأنَّه يريدها فضلًا مستمرًّا يعود إليه أَجْرُهَا، فَقَدْ حَبَسَ أَصْلَهُ عن البيع والتَّداوُلِ، وَسُبُلَ مَنْفَعَتِهِ لمن أراد أن يقرأ فيه، فتجد بعضهم يستعير

الكتاب، فيذهب به، ثمَّ يَذْهَبُ الكتابُ، ولم يَعُدِ الكتاب.

فَمِثْلُ هؤلاء لا يستحقُّ أن يُعَارَ كتابًا؛ لأنَّه ليس أهلًا أن يُعَارَ كتابًا، هَذَا فيما يتعلَّق بالنِّسبة لإعارة الكتب.

خامسًا: بداية القراءة بداية الكتاب:

كيف تقرأ الكتاب؟ هل تبدأ مِنَ الوسط؟ بعضهم يَجِدُ كتابًا، ثمَّ يفتح الكتاب، ثمَّ يُبْحِرُ، فيرىٰ كلامًا يقول: «هَذَا غَلَطٌ»؛ وما يعلم أنَّ هَذَا رَدٌّ علىٰ شبهةٍ متقدِّمةٍ، أو سابقة كلامٍ، بحاجةٍ إلىٰ أن يرجع إليه، فهناك التَّقسيمات العلميَّة في الكتب علىٰ شَكْلِ مباحث، أو علىٰ شَكْلِ أبوابٍ، أو علىٰ شَكْلِ كتبٍ، والأجمل أنَّك تبدأ هَذَا الكتاب من بدايته.

سادسًا- تحرِّي أوقات القراءة وما يناسبها من أنواع الكتب:

❐ أوقات غير مناسبة للقراءة:

بعضهم يقول: «أنا أَقْرَأُ عِنْدَ النَّوْمِ»؛ يعني؛ وقت الهِمَّةِ، ووقت النَّشاط، ووقت الجَلَدِ، ووقت الفَهْمِ، تكون تَارِكًا القراءةَ، وعند النَّوْمِ تأْخُذُ الكتاب؟! تَارَةً تَقْرَأُ حَرْفًا، وتارة يسقط الكتاب عليك، أو تسقط أنت علىٰ الكتاب!

لا، ليس هَذَا هو الوقت المناسب!

❐ أنسب أوقات القراءة:

ليس هناك وَقْتٌ معيَّنٌ للقراءة، ولكن أنت أَعْرَفُ بِنَفْسِكَ؛ أحيانًا تجد في نفسك رغبةً في القراءة في القرآن والتَّفسير، اقرأ، وأحيانًا تجد في نفسك ميولًا للمصطلح، اقرأ، هَذَا عندما لا يكون عندك شيءٌ مُعَيَّنٌ تريد النَّظَرَ فيه؛ فهَذِهِ المُيُولُ لَهَا أَثَرٌ في قُوَّةِ الفَهْمِ:

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا فَإِنَّ لكلِّ عَاصِفَةٍ سُكُون

وَكَوْنُكَ رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ إقبالًا، هذا شيءٌ مهمٌّ، حتَّىٰ الطَّاعات يسري عليها هذا الأمر، أحيانًا تَجِدُ في نفسك إقبالًا علىٰ الصِّيام، أَقْبِلْ، أو رَغْبَةً في القِيَامِ، قُمْ، أو رغبةً في الذِّكْرِ، اذكر الله.

فإذا وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ إقبالًا علىٰ شيءٍ مُعَيَّنٍ أقبلْ؛ فهَذَا الإقبال في حَدِّ ذاته دافعٌ للفهم، لا تُجْبِرْهَا علىٰ شَيْءٍ آخرَ، ما لم تَكُنْ مُلْزَمًا به، واجعل لها نزهةً؛ قد تكون هذه النُّزهة في التَّراجم: فيُوجَدُ مَثَلًا «سير أعلام النُّبَلَاءِ»؛ حيث تقرأ فيه حياة أولئك الفُضَلَاء، أحيانًا تجدها تريد الأدب، انقلها إلىٰ «الآداب الشرعية» لابن مفلح، وأحيانًا تجدها بحاجة إلىٰ أن تَخُوضَ بشيء من التَّاريخ، انقلها «للكامل» لابن الأثير، أو «تاريخ الإسلام» للذَّهَبِيِّ، أو «تاريخ دمشق» لابن عساكر، أو المختصرات في ذلك، أو المُطَوَّلَات.

أحيانًا تجدها تُرِيدُ السِّيرَةَ، اقرأ، هَذَا من حيث نوع القراءة، ومن حيث زمن القراءة، لا تلزم نفسك -وأنت لَسْتَ مُلْزَمًا- بشيءٍ معيَّن، أحيانًا يكون

عندك بحثٌ في العقيدة، إذن، تظَلَّ علىٰ كتب العقيدة، تُبْحِرُ فيها حتَّىٰ تَضْبِطَ المسألة.

اسأل أهل العلم، تَبَيَّنْ! يجاوبوك! هل صار عندك فهمٌ؟ بالفعل.

إذن، حَاوِلْ أن تُنَمِّيَ هَذَا الفَهْمَ أَكْثَرَ بالتَّوَسُّعِ أَكْثَرَ، حتَّىٰ تُضْبَطَ عندك الأمورُ.

سابعًا: حدِّد منهجك، وجدِّد قراءتك حتى لا تملّ، واعل بهمَّتك:

فأحيانًا يمرُّ بك كتابٌ مختصرٌ، فتقرأه فتجد في نفسك نَشْوَةً، فَرَحًا؛ قَرَأْتَ كتابًا، اسألْ نفسك: كم كتابًا قرأته إلىٰ الآن؟ كم كتابًا خَتَمْتَهُ؟ أم تَجِدُ أَنَّ البعض يَتَنَقَّلُ؛ يقرأ من هنا صفحتين ومن هنا صفحتين، من هنا صفحتين ومن هناك عشرة من هناك عشرين، ينقضي عليك العمر، وما ضبطت المسائل! إذن لتضْبِطْ، وتصْبِرْ، ولْيَكُنْ لديك مَنْهَجٌ اسْتِقْرَائِيٌّ؛ إذا أتىٰ الكتاب في يَدِكَ، حتَّىٰ تجد بعضهم يقول: «فَمَا وَقَعَ حتَّىٰ خَتَمْتُهُ، وَهَذَا بالدِّرْبَةِ؛ فأَحْيَانًا تجد النَّفْسُ مَلَّالَةً وَكَلَّالَةً، فَتَمَلُّ وَتَكَلُّ، لكنَّها كالطِّفل؛ علىٰ حيث ما عُوِّدَ تَعَوَّدَ.

فإذا عَوَّدْتَهَا علىٰ أَنَّك ذَوَّاقَةٌ؛ تَذُوقُ من هنا وهنا، وَتَتْرُكُ من هنا، لن تَقْرَأَ كتابًا كاملًا، وَسَيَمُرُّ عَلَيْكَ زَمَنٌ ما تذكر مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ خَتَمْتَ لك كتابًا،

حتَّىٰ لو علىٰ مستوىٰ ثلاث مئة صفحةٍ، ولا مِئَتَيْ صفحةٍ، لا تجد أنَّك قَرَأْتَ كتابًا أبدًا، لكن إذا عَوَّدْتَ نفسَك علىٰ ذلك ستستجيبُ لك.

شاهدٌ على الهمَّة في القراءة:

قيل لأحدهم: «يا فلان، أَرَاكَ لَبِسْتَ النَّظَّاراتِ»؛ قال: «ما أَتْعَبَنِي إِلَّا «تهذيب الكَمَال للمِزِّي»، مَا أَتْعَبَنِي إِلَّا «فتح الباري» قَرَأَهَا أكثر مِنْ عَشْرِ مَرَّاتٍ.

هَذَا يكون عند طالب العلم، مَلَكَةٌ وَقُوَّةٌ، وبعضهم كَثِيرُ القراءة، مثل الشَّيخ ناصر -رحمه الله وَغَفَرَ له- مَخْطُوطَاتٍ وَغَيْرَهَا، ما أعرف عنه لَبِسَ النَّظَارَةَ، وهَذِهِ قوَّة الله عَزَّوَجَلَّ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، عَلَىٰ كُلِّ قِرَاءَتِكَ تَجِدُ فيها لَذَّةً، قَرَأْتَ هَذَا الكتاب، وأنت لك مِنَ العُمْرِ عِشْرُونَ سَنَةً، ثمَّ قَرَأْتَهُ وَأَنْتَ لك أَرْبَعون سَنَةً، ثمَّ وَجَدْتَ تَعْلِيقَاتِكَ وكتاباتك، ولا شَكَّ أنَّ سنَّ الأربعين عنده من النُّضْجِ والإدراك بِخِلَافِ صاحب العشرين.

سابعًا: أنواع القراءة والقرَّاء:

إذًا، جَدِّدْ قِرَاءَتَكَ، عُدْ إلىٰ ما مَرَّ بك، لا تقل: هَذَا الكتاب سَبَقَ أن قَرَأْتُهُ، كلَّا، قِرَاءَتُكَ الآنَ سَتَكُون قراءةً أُخْرَىٰ؛ لِأَنَّ القراءةَ لها أنواعٌ:

- قراءة الطَّالب.
- قراءة النَّاقد.
- قراءة الحاقد.
- قراءة الرَّادِّ.
- قراءة المتأمِّل.
- قراءة المختار.

كما أن القراءة نَفْسَهَا أنواعٌ؛ لماذا قَرَأْتَ؟

لماذا قرأت هذا الكتاب دون غيره؟

ما مَقْصِدُ القارئ في قراءته لهَذَا الكتاب؟ هَذِهِ تُؤَثِّرُ عليه.

- **قراءة الحاقد**: الذي تجده في الغالب لا يستفيد؛ لأنَّه حاقدٌ- تكون بحثًا عن العَثَرَاتِ، لا يبحث عن الخير، فيصبح كالذُّبابة لا يقع إلَّا علىٰ قذرٍ، **بخلاف النَّاقد.**

➢ **القارئ الناقد**: الَّذي يقرأ، ويعلم أن الصَّواب صوابٌ، ولكنَّ الخطأ يَنْتَقِدُهُ، وهَذَا في الغالب يَحْصُلُ عند بعض طلَّاب العلم، الَّذين يدفعون كتاباتهم إلىٰ بعض المشايخ حتَّىٰ يقدِّموها لهم.

فماذا يقرأها؟ قِرَاءَةَ نَاقِدٍ فَاحِصٍ يتأمَّل ما فيه؛ وُجِدَ خَطَأٌ يُصَحِّحُهُ، غالبًا الدِّراساتُ العلميَّة والرَّسائل العلميَّة هكذا، قراءة نَقْدٍ وَتَقْيِيمٍ وإصلاحٍ.

➢ **قراءةَ الرَّاغبِ في مسألةٍ بعينها**: فقراءة الطَّالب تجده يمرُّ علىٰ الجميع قراءةَ الرَّاغبِ، هَذَا لا يُمَيِّزُ بين الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، والحَبَّةِ السَّوداء، فهو نَهِمٌ فقط، يقرأ كذا، ويمشي دون تمحيصٍ، أو تحليلٍ، أو تَأَمُّلٍ، قراءة الباحث فقط، له مسألةٌ معيَّنةٌ، ربَّما يَمُرُّ علىٰ أشياء، لكن الذِّهن منصرفٌ؛ إلىٰ ماذا؟ إلىٰ مسألته.

فاقرأ بقراءة الطَّالب النَّهِمِ، المُدَقِّقِ، النَّاقد، المتفحِّص، تجتمع فيك هَذِهِ القراءات، مع الزَّمن تَجِدُهَا مَلَكَةً أصبحت فيك، الفائدة تكتسبها، والمخالفة تنتقدها، والحقُّ تقبله، والباطل ترفضه، وهكذا، هَذَا ممَّا يميِّز القراءة.

والحقيقةُ: إنَّ الكتاب خَيْرُ صَدِيقٍ، فَمَجْلِسُهُ مَجْلِسٌ طَيِّبٌ، لا يزعجك ولا يملُّكَ، متىٰ ما أردته فتح لك صدرَه، ومتىٰ ما أغلقته لم يزعجْك، يقول لك: «افْتَحْنِي». فهو أَنِيسٌ وَجَلِيسٌ.

وَفَّقَ الله الجميع للعلم النَّافع والعمل الصَّالح.

المجلس السادس

بعض ما يشين
طالب العلم

المجلس السادس
بعض ما يشين طالب العلم

نبدأ في هَذَا المجلس بِذِكْرِ بعض المُنْقِصَاتِ، أو بعض المَزَالِقِ، أو بعض مواطن الزَّلَلِ، التي يَنْبَغِي لِطَالِبِ العلم أن يَحْذَرَهَا؛ لأنَّه إن وقع فيها ربَّما لا يواصل في طلب العلم؛ فَطَالِبُ العلم الصَّغيرُ غدًا كبيرٌ، وبعد غَدٍ شَيْخٌ، وبعدها عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلِمِين، وهَذَا بالتَّسلسل، تَعلَّم واصبر، والصبر مع العلم، فإذا حصَّلَهُ، فمع الزَّمَنِ يتَحَصَّل خيرٌ كثيرٌ، وما أجمل ما قيل، وذكرت لكم قبل:

اليَـــوْمَ عِلْـــمٌ وَغَـــدًا مِثْلُـــهُ مِـــنْ نُخَـــبِ العِلْـــمِ الَّتِـــي تُلْـــتَقَطُ
يُحَـــصِّلُ المَـــرْءُ بِهَـــا حِكْمَـــةً وَإِنَّمَـــا الـــسَّيْلُ اجْتِمَـــاعُ الـــنُّقَطِ

فَبُحورٌ من العلماء كانوا طُلَّابَ عِلْمٍ، واعلم أنَّه ليس هناك عندنا مَنْ يَخْرُجُ هكذا فَجْأَةً، فإذا به عَالِمٌ أو شَيْخٌ، لا؛ إنَّما يُعْرَفُ طَالبُ العِلْمِ مُنْذُ هو صَغِيرٌ في مجالس العلماء ويتلقَّىٰ العلم، وأمَّا شيوخ الفجأة فاحذروهم، فغالبًا يظهرون في الفتن، والرَّجُلُ إذا لم يُعْرَفْ إلَّا في فتنةٍ، فهَذِهِ مَذَمَّةٌ، وَلَيْسَتْ

مَمْدَحَةٌ؛ إنَّه ما عُرِفَ إلَّا في فتنةٍ، أين هو قَبْلَ الفتنة؟ وانظر لِحَالِهِ بعد الفتنة، إذًا لا يَسْتَعْجِلُ فِيمَنْ يبرزون في الفتن.

المنقصات أو المزالق:

أوَّلًا: قلَّةُ الإخلاص في العلم وطلبه:

وهَذِهِ تظهر في عدَّة صورٍ:

مِنْ أَشَدِّهَا: أن ليس للعِلْمِ أَثَرٌ فيه؛ فهو يلتمس الموطن الَّذي يُرىٰ فيه أنَّه حضر أو أنَّه موجودٌ، ربَّما يتكلَّم وليس المَحَلُّ مَحَلَّ كلامٍ، إنَّما أنا هنا، أو يسأل ولا يريد السُّؤال، إنَّما أنا هنا، فهَذِهِ مواطن ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها، وليس معنىٰ ذلك أنَّه يترك السُّؤال أو التَّواجد، لكن يَحْذَرُ علىٰ نفسه من أن يكون قَصْدُهُ إثبات الحضور للحضور، إنَّما يحضر ليتعلَّم.

ثانيًا: عَدَمُ الحرص على المتابعة:

ومن المزالق أيضًا: عَدَمُ الحرص علىٰ المتابعة، لا يتابع في العلم، إنَّما هو ذَوَّيقٌ، يتذوَّق المجالس، مرَّة هنا، ومرَّة هنا، لا، إنِّما العلم بحاجةٍ إلىٰ صبرٍ، بحاجة إلىٰ جلوسٍ، فيجلس طالب العلم في مجلس العلم، ويستمرُّ من بداية المجلس حتَّىٰ نهايته، ومن بداية الدَّرس حتَّىٰ نهايته، ويعرف بعض الطَّلبة بالحضور المستمرِّ؛ فلا ينقطع إلَّا لأمرٍ طارئٍ أو لشغلٍ مُلِحٍّ، وإلَّا

مجلس العلم لا يُقَدِّمُ عليه شيئًا مهما كان، فَيَعْتَنِي بالمتابعة.

والمتابعة على أقسامٍ: المُتَابَعَة في الحضور، والمتابعة في التَّحضير، والمتابعة في المراجعة، فهو يراجع العلم فيستفيد.

ثالثًا: قلَّة الأدب:

فتجد أنَّه في مجلس العلم ليس مؤدَّبًا، فتجده يهمس في أذن هذا، ويتكلَّم مع هذا، ويشاغب مع هذا، ويقاطع المتكلِّم في المجلس، الأستاذ أو الشَّيخ أو المعلِّم، فيقاطعه، وهكذا، كثير المقاطعة، وليس ذلك من باب رفع الإشكال، أو استيضاح شيءٍ غريبٍ، أو طلب بيانٍ لأمر غير متَّضح، إنَّما ذلك بسبب سوء أدبه وقلَّة أدبه في المجلس.

وهَذَا مزلقٌ يُشِينُ طالب العلم، فيزدريه زملاؤه، وَتَنْزِلُ منزلته عند شيخه، وإنَّما الأدب مع الزُّملاء، والأدب في المجلس مع شيخه، الاحترام الَّذي ليس فيه تَذَلُّلٌ وخضوع، وليس فيه استهانة، لا، إنَّما هو الأدب النَّبويُّ.

كيف كانوا مع النَّبيِّ ﷺ؟ وهَذَا ممَّا ينبغي لطالب العلم أن يعتني به.

رابعًا: حبِّ الظُّهور:

وهو حبُّ التَّصَدُّرِ، أو التَّسَلُّطِ، أو طلب الشُّهرة، وحبِّ التَّعظيم، فيعتني بأن يكون دائمًا في هالةٍ، وألَّا يأتي وحده، إنَّما في جموعٍ، وينصرف في جموعٍ، أو يبرز نفسه في الظُّهور، فيضبط له بعض المسائل وبأدلَّتها والخلاف فيها، فتجده يتصدَّر المجلس فيوردها، ويظنُّ الغمر الحاضر أنَّ هَذَا إمام زمانه، وهو في الحقيقة عَالِمٌ بِتِلْكَ المسائل، جَاهِلٌ بكثير مِنَ العِلْمِ.

وهَذِهِ مُشْكِلَةٌ؛ لأنَّه يلتفت إليه عند الجُهَّالِ؛ فيسألونه في أمورٍ أخرىٰ لم تَمُرَّ به؛ فلا يستطيع أن يقول: لا أعلم، وربَّما تكلَّم بغير علمٍ، ووقع في خطرٍ عظيمٍ، أنَّه تجرَّأ علىٰ الله، وتكلَّم بغير علمٍ، وقد نُهِينَا عن هذا، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة:١٦٩].

إذًا مسألة الظُّهور مسألةٌ خطيرةٌ جدًّا، فانتبه لنفسك.

وإليك هذا الشَّاهد:

حيث إنَّه لمَّا سأل ابنُ عمر النَّبيَّ ﷺ عن شجرةٍ كالمؤمن، ثمَّ ذهب الصَّحابة في شجر البوادي، يقول: «فخطرٌ أن أقول: إنَّها النَّخْلَةُ، فسكت، حتَّىٰ أخبرهم النَّبيُّ ﷺ، يقول: «فَذَكَرْتُ ذلك لأبي، فقال: لو أنَّك قُلْتَهَا لكان خيرًا لي من كذا وكذا»[(١)]، فرحًا به.

ولكنَّه سَكَتَ تَقْدِيرًا لأهل المجلس، هكذا طالب العلم عندما يكون في المجلس، وهناك مثلًا من العلماء، أو مثلًا من طلبة العلم المُتَمَكِّنين، ينبغي لطالب العلم أن يعرف حجمه، وأن يعرف قَدْرَهُ، إِلَّا أن يُنَصَّ عليه، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابن عبَّاسٍ، فسألهم في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا

(١) أخرجه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر:١]، فتكلَّموا وتكلَّموا، ثمَّ التفت إلىٰ ابن عبَّاسٍ، قال: «ما تقول؟» قال: «هي نَعْيُ لرسول الله ﷺ بنفسه».

قال: «واللهِ، ما هو إلَّا ذاك [(١)]». أو نحو هذا، فإذا خصَّ طالب العلم - وإن كان في المجلس من هو أعلم منه- فهنا ينبغي له أن يُدلِي بِدَلْوِهِ، وأمَّا ابتداءً فلا ينبغي هذا؛ لأنَّه يشِينُ طالب العلم، فيكون فيه شيء من إبراز الذَّات أو إثبات الحضور، فينبغي له أن يعرف قَدْرَهُ، وهَذَا ممَّا يزينُ طالب العلم.

وإذا رأىٰ المَجْلِسَ أنَّه سَيَنْفَضُّ علىٰ عدم علمٍ، يقول: كأنِّي سمعت كلامًا لأهل العلم فيها كذا وكذا. من باب التَّأثُّم، حتَّىٰ لا يكون ممَّن كتم علمًا، أمَّا في البداية فيجب ألَّا يتصدَّر الجواب، فلا يزين هَذَا طالب العلم، إنَّما يشِينُه، وأيضًا فيه تربية النَّفْسِ بألَّا يتصدَّر الإنسان، إنَّما يتكلَّم عندما تكون هناك ضرورةٌ.

خامسًا: قلَّة العمل:

لا بدَّ لك أن تعمل بعلمك، عندما يُرَىٰ طالب العلم لا يَغُضُّ البصرَ، وهو يتكلَّم عن غَضِّ البصر، عندما يُرَىٰ طالب العلم يقع في بعض الشَّهوات أو الشُّبُهَاتِ، وقد نصح أو ينصح، فالنَّاس تنظر وتشاهد، فهَذَا من موانع قبول

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

العلم عند النَّاس.

أنَّه كيف فلانٌ يقول كذا، ويعمل كذا؟! لا بُدَّ من العلم، ولا بُدَّ من العمل بالعلم؛ فالعمل بالعلم مِنْ دليل الإخلاص، بل إنَّ ممَّا ينافي الإخلاص ويُفْسِدُه الرِّياءَ أو التَّزَيُّن بما ليس فيه.

سادسًا: الشُّعور بالكفاية في العلم:

أنَّه يرىٰ أنَّه بَلَغَ الكفاية مِنَ العلم، فلا يتزوَّد، والعلم -كما قيل قديمًا عندما سئلَ الإمام أحمد- قال: «مع المَحْبَرَةِ إلىٰ المَقْبَرَةِ» وهَذَا هو أمره، كان يقول: «مِنَ المَهْدِ إلىٰ اللَّحْدِ»، والإنسان يتعلَّم، منذ أن ينزل من بَطْنِ أمَّه وهو يتعلَّم، ومنذ أن يعلم؛ كيف يُرْضَعَ؟ منذ أن يعلم الأمور الحياتيَّة، إلىٰ أن يتعلَّم الأمور الدُّنيويَّة، إلىٰ أن يتعلَّم الأمور الدِّينيَّة والشَّرعيَّة، وهكذا، الإنسان يتعلَّم.

وإذا رأىٰ أنَّه بَلَغَ مِنَ العِلْمِ غَايَةً، أو بَلَغَ فيه الكفاية، فهَذَا عُنْوَانٌ للجهل، فَطَالِبُ العلم لا يزال طالب عِلْمٍ.

وَأَذْكُرُ مَرَّةً في الحَجِّ، كُنَّا في خَيْمَةِ شيخنا -رحمة الله عليه- الشَّيخ عبد العزيز بن باز، فَأَتَىٰ سَائِلٌ يَسْأَلُ عن مَسْأَلَةٍ في الحَجِّ، والشَّيخ حجَّ أكثر من ٦٣ سنة، وله كتابٌ عن المَنْسَكِ: «التَّحقيق والإيضاح في مسائل الحجِّ والعمرة»،

فَمَرَّتْ به مَسْأَلَةٌ مِنْ سَائِلٍ، فقال: «تأتي غدًا نراجعها».

ثمَّ بعد ذلك قال: «أحيانًا تَمُرُّ مسائل ما مَرَّتْ علينا مِنْ قَبْلُ، ولا يَزَالُ الإنسانُ طَالِبَ علمٍ، إمامٌ وَمُعَلِّمٌ وَمُرَبٍّ» رحمةُ الله عليه، فما قال: «مَاذَا أَقُولُ للسَّائل؟» بل قال: «تأتينا غدًا، نراجعه».

وبعض النَّاس لا يَحَارُ، الجَوَابُ في فَمِهِ، إنَّما هي علىٰ عَجَلٍ، وهَذَا خطرٌ عظيمٌ، فلا تستعجل بالجواب، ولا ضَيْرَ إن قُلْتَ: «لا أعلم»، أو: «راجعنا بَعْدَ ذلك»، أو: «أَبْحَثُ وَأَرُدُّ لك»، أو: «جَوَابُهَا ليس حاضرًا في ذِهْنِي»، أو: «لا أستحضر كلَّ الأدلَّة»، أو: «مَرَّتْ بي قديمًا، لكن لَعَلِّي أراجعها ثمَّ أُجِيبُكَ».

هَذَا لأنَّ طالب العلم إذا رأىٰ في نفسه الكفاية، حَرَمَ نفسه من أشياء كثيرة، بل لا يزال الإنسان طالب علمٍ، ويزداد في الطَّلب، ويتعلَّم، حتَّىٰ يلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

سابعًا: التَّسْوِيفُ:

أي: أن يُسَوِّفَ: سوف أفعل، سوف أفعل، ليس بعد، أحيانًا تمرُّ بطالب العلم مسألة، ويقول: «سأبحثها».

مسألةٌ تتكرَّر معه يوميًّا، مثلًا: حكم صلاة الوتر، حكم قضاء الوتر، فتمرُّ

به هَذِهِ المسألة، وهو لم يبحث في جوابٍ تطمئنُّ إليه النَّفْسُ، فيمرُّ به يوم، يومان، إذن، فمتىٰ تبحثها إذًا؟ أحيانًا بعد شهرٍ، أحيانًا بعد سنةٍ، أحيانًا لا يزال لم يبحث المسألة، وهي أمرٌ تَعَبُّدِيٌّ معه، ويقع فيه أحيانًا، سوف أفعل، سوف أفعل!

هَذِهِ مسألةٌ تَعَبُّدِيَّةٌ، لا بُدَّ أن تفعل، أو أن ترضىٰ بما قد قال به أهل العلم، فبعض طلَّاب العلم لا تُرْضِي نهمته بجوابٍ عابرٍ، بل يقول: «أنا سأبحث المسألة».

متىٰ تبحثها، وأنت كلَّ يومٍ تقول: «غدًا سوف أبحث»، ومع ذلك أحيانًا تقع في هَذَا الأمر، وتتوقَّف فيه: هل تؤدِّيه؟ تقضي الوتر وترًا، أم تقضيه شفعًا؟ وهكذا، فتجد بعضهم يُسَوِّفُ، أو أحيانًا في أَحْكَامٍ تَعَبُّدِيَّةٍ تمرُّ به هو، سأبحثها، سأسأل عنها، طالب العلم الجادُّ عَدُوُّ التَّسْوِيفِ، ليس عنده: «سوف»، بل عنده الآن، هَذَا طالب العلم، فما لم يتَّضح له في لحظته، انْكَبَّ حتَّىٰ يتعلَّم تلك المسألة.

وذكر عطيَّة مُحَمَّد سالم في ترجمته لمُحَمَّد الأمين الشِّنقيطيِّ، صاحب «أضواء البيان»: أنَّه في مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِ مع شيخه، مَرَّتْ مسألةٌ لم يَفْهَمْهَا، فعاد، فلمَّا عاد انكبَّ علىٰ تلك المسألة يبحث فيها -كان عنده خادم- حتَّىٰ أتىٰ له بالشَّاي، وكان في خدمته، حتَّىٰ وجد جواب تلك المسألة وأشبع

نَهْمَتَهُ، وزال عنه الإشكال، وارتفع فيه الأمر عنده، فلمَّا أتاه للدَّرس من الغد، قال: «أَخَذْنَا كِفَايَتَنَا البارحة».

هكذا طالب العلم بَحْثُهُ جَادٌّ وَمُسْتَمِرٌّ، وَعَدُوٌّ لِـ: «سَوْفَ».

ثامنًا: صُحْبَةُ البَطَّالين، وتَفْضِيلُ مجالس الأُنْسِ على مجالس العلم:

لأنَّ هناك من يجلسون في مجالس العلم، ولكنَّهم قُطَّاعُ طريقٍ، يجلس مجلسًا أو مجلسين، ويأتي لطالب العلم الجادِّ يقول: «والله مَلَلْنَا».

والجادُّ لم يَمَلَّ، ولكن الَّذي مَلَّ البَطَّالُ، قال: «مَلَلْنَا، نَجْلِسُ كم سنةً نحن نقرأ، نسمع، إلىٰ متىٰ؟! إلىٰ أن نلقىٰ الله».

وأنت تتعلَّم في مجالس العلم، اعلم أن: «**الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذكر الله وما والاه، أو عالمًا، أو متعلِّمًا**»(١).

إذن، أنت في خيرٍ، وفي فضلٍ، وفي مجالس علمٍ، يَذْكُرُكَ الله فِيمَنْ عِنْدَه، رَحْمَةٌ، وخيرٌ، وَسَكِينَةٌ، ومغفرة ذنوبٍ، أَيُّ مَجَالِس خيرٌ من هَذِهِ المجالس؟ هَذِهِ مجالس العلم، مجالس حياة القلوب.

أيضًا ممَّا يَشِينُ طالب العلم: تَفْضِيلُ مجالس الأُنْسِ علىٰ مجالس العلم؛

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٧٦).

علىٰ أيِّ حالٍ تكون مجالس العلم؟

طالبٌ له مجموعةٌ مِنْ زُمَلَائِهِ نَشَأَ معهم، عَرَفَهُم؛ إمَّا في حارته، إمَّا في وظيفته، فإذا رأىٰ فلانًا وفلانًا استأنس، ويتواعدون، اليوم عند فلانٍ، وغَدًا عند فلانٍ، كم هو جميلٌ هذا اللِّقاء، يفرح به وفي هَذَا المجلس، فيكون فيه مزيدٌ من التَّوسعة، والتَّوسعة جيِّدةٌ، أن يكون لك إخوانٌ، تستأنس بهم ويستأنسون بك.

ليس كلُّ الطُّلَّاب زملاء، فهم في المجلس يطلبون العلم، لكن بعضهم يَأْلَفُ بعضًا، ويأنس بعضًا، لا يكون مجلسكم مجلس الألفة، والأنس، تفضِّلونه وتنتظرونه أَشَدَّ من مجلس العلم، وتجعل مجلس الأُنسِ غايةً، ومجلس العلم تَجْعَلُهُ وَسِيلَةً للاجتماع فيه! كلَّا، اجعل في مجلس العلم ما يَرْفَعُ الجَهْلَ عن نفسك.

وذاك المجلس لا بَأْسَ إن تَيَسَّرَ فَحسن، وإلَّا فليس هو القَصْدُ والغاية، بل استمرَّ الحال مع البعض، فَتَجِدُهُ في مجلس الأُنْسِ، ولا تجده في مجلس العلم، فإذا قيل: محاضرةٌ أو مجلسٌ أو درسٌ، لا تراه، وإذا قُلْتَ: نحن نجتمع في الاستراحة الفلانيَّة أو الشَّاليه الفُلانيِّ أو في المتنزَّه الفلانيِّ، تجده مِنْ أَوَّلِ الحضور، والعدَّة جاهزة، إن كان شايًا أو قهوة، أو كان شواءً، أي أَمْرٍ من الأمور المباحة.

ومجلس العلم؛ لماذا لم تَكُنْ فيه متهيِّئًا؟ ما الَّذي يمنعُك أن تجمع بين الأمرين، بين هَذَا وذاك؟ ولكنَّ الجدَّ أَهْلُهُ قليلٌ، ولذلك مجالس العلم لا يتحمَّلها البَطَّالون، فيبتلىٰ بقاطع طريقٍ، فهؤلاء قطَّاع الطَّريق، فيصرفه عن مجلس العلم.

تاسعًا: الفوضى في الوقت:

فتجد أن ليس عنده جدولٌ، بل لا يعرف: ماذا أنا عازمٌ علىٰ فعله يوم غَدٍ؟، بالبركة، لا، طالب العلم مرتَّبٌ، عنده جدول، إمَّا في ذهنه أو مقيَّد.

من عنده جدول، فيكتب فيه: ماذا يَفْعَلُ؟ وماذا سيكون؟ غدًا عندي مراجعة كذا، وعندي حفظ كذا، وعندي بَحْثُ مسألة كذا، وَعِنْدِي مثلًا كذا، فيرتِّبُ جدوله: إن كان مَثَلًا طالبًا في الجامعة، عنده مُحَاضَرَاتُهُ، أو طالبًا في المدرسة، عنده دُرُوسُهُ، عنده وقتٌ للمذاكرة، عنده وقتٌ للمراجعة، عنده وقتٌ لِاسْتِفَادَةِ عِلْمٍ جديدٍ، عِنْدَهُ وَقْتٌ لمراجعة ما مَضَىٰ، سَوَاءً في القرآن، أو في الأحاديث، أو في المباحث العِلْمِيَّةِ.

كذلك الطَّالبُ الجامعيُّ، كذلك المُوَظَّفُ، عِنْدَهُ وَقْتٌ لكذا، وَوَقْتٌ لكذا، وَوَقْتٌ لكذا، وهَذَا سَآتِيهِ -إن شاء الله- في مَجْلِسٍ آخر، حول طالب العلم وأهله، وطالب العلم وزوجته، ووالديه، وزملائه، مواقف وأشياء يجِبُ عليك، حياته، مجتمعه، أموره، الجماعات، الفِرَق، ولاة أمره، علمائه، هَذِهِ

كلُّها سيُعقد لها مجلس: في طالب العلم والنَّاس مِنْ حوله.

بعض النَّاس يقول: «طَالِبُ العلم؛ ليس له علاقته بالنَّاس؟ ولا يشتغل بأمور النَّاس، بالعكس، هو فَرْدٌ مِنَ النَّاس، عليه مَسْئُولِيَّاتٌ وَوَاجِبَاتٌ، ويجب عليه أن يؤدِّيَ ذلك لِمُجْتَمَعِهِ، لكن الفَوْضَىٰ في الوقت تجعل الزَّمَنَ الكثير، يُفْقَدُ دون إِنْتَاجِيَّةٍ؛ يعني: لَعَلَّه ابن مسعود، أو هكذا يقول: «إِنَّه يَوْمُ حَسْرَةٍ أن يَمُرَّ عَلَيَّ، لَمْ أَزْدَدْ فيه علمًا». أو عبارةٌ نحو هذه.

إِنَّه حَسْرَةٌ أَنْ يَمُرَّ عليك يوم، ما تعلَّمت فيه شيئًا، كم تمرُّ أَيَّامٌ لم نتعلَّم أشياءَ جديدةً في أمور ديننا، وما يتعلَّق به! والخير كثيرٌ، وما نَعْلَمُ قَلِيلًا، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]، بل أَمَرَ نَبِيَّهُ أن يتزوَّد من أي شيءٍ؟ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤]، فالاستزادة في العلم مطلوبة، فالَّذي عنده فوضىٰ في الوقت ربَّما لا يُحَصِّلُ؛ فَبَعْضُ النَّاس أحيانًا يَشُدُّ علىٰ نفسه في وَقْتٍ يسيرٍ، ويضيِّع زمنًا.

أسأل الآن وأنتم خارجون من اختبارات -سواءً جامعيَّة أو دراسيَّة أو غير ذلك- كيف يكون جَوُّ التَّحصيل؟ الوقت مُسْتَغَلٌّ أم لا؟ وتمرُّ بكمِّيَّةٍ هائلةٍ من العلم، أو وجبات دَسِمَةٍ كما يقال -إن صَحَّ التَّعْبِيرُ- يمرُّ بعلوم، وعنده نهمةٌ وقوَّةٌ، ربَّما في اليوم الواحد يقرأ مجلَّدين أو ثلاثة، ربَّما المادَّة

العلميَّة يستعرضها مرَّتين ثلاثة، وعنده مُلَخَّصٌ لها، وعنده استحضار ذهنيٌّ، والمادَّة بين يديه، هَذَا في مدَّة أسبوعين، هَذِهِ النَّهَمَةُ لو كانت مستمرَّةً معك طوال العام، لَخَرَجَ لنا علماء، بدليل أنَّه بعد الاختبارات يشعر أنَّه خفيفٌ، وأنَّ الوقت عنده فراغٌ كثيرٌ جدًّا، وفي الأمس القريب زحمة، ما عنده وقت.

أحيانًا يريد أن يَقْضِيَ حاجته في الحمَّام، ومع ذلك يتأخَّر حتَّىٰ ينهي ما في يده، أو ينهي ما يكتب، لماذا؟ الوقت يريد أن يستغلَّه، فبعدما تذهب هَذِهِ المدَّة يشعر أنَّه خفيفٌ، والوقت ذو فراغٍ كثيرٍ، يريد أن... كذا وكذا.

لا، لا... استفد، تراه إن جَعَلْتَهُ في اللَّعِبِ والعبث من باب التَّرويح علىٰ النَّفس، أم: «ريِّحنا، خَلِّنَا نَسْتَفِدْ مِنْ شَيْءٍ ثَانٍ وَمَرِحٍ». وهكذا فاتك أشياءٌ كثيرةٌ.

هَذِهِ العمليَّة التي أنت مَرَرْتَ فيها وَعَوَّدْتَ نفسك عليها، حاول أن تبقىٰ فيها، فَتُصْبِحَ دَيْدَنَكَ في حياتك، تستمرُّ معك، إذا تَأَقْلَمْتَ علىٰ ذلك، وعوَّدْتَ نفسك علىٰ ذلك، تَجِدُ أنَّكَ أحيانًا إذا مَرَّ بك يومٌ، ما قرأت شيئًا، ولا بحثتَ، ولا سألتَ، ولا كان كذا، اليوم ناقص، اليوم ما هو مِنْ أيَّامِكَ.

فلذلك استمرار طالب العلم في مزيد من التَّحصيل يساعده علىٰ هذا.

عاشرًا: التَّقَطُّعُ في الطَّلب:

يحضر أوَّلَ الدَّرس، يبدأ الأسبوع الأوَّلَ، ويفوت خمسة أسابيع، لِعُذْرٍ، لسببٍ؟ كلا. ثمَّ يأتي في الأسبوع السَّادس، كم فاتَهُ؟ فاته دروسٌ كثيرةٌ، إذا جلس في هَذَا المجلس، هَذِهِ المادَّة المقروءة سابقها أصل لها، مفتاح لها، تجد أنَّه ما فَهِمَ، فيقع في: إمَّا أن يَعِيبَ المُدرِّسَ أنَّه صَعْبٌ ومُعَقَّدٌ، ولا يستطيع أن يوصِّل المادَّة إلىٰ المُتلقِّين، أو يتَّهم نفسَه أنَّ هَذَا شيءٌ مُرَكَّزٌ، وَمِنْ عدم السُّهولة بمكانٍ أنِّي أستوعب هَذَا الَّذي حصل، فَمِنَ الأفضل أن أنسحب.

والقضيَّة ليست هي الأولىٰ ولا الثانية، ليس عَيْبًا في الملقي أنَّه لُغَتُهُ صَعْبَةٌ، ولا في المُتَلَقِّي أنَّه يصعب عليه الفهم، المشكلة أنَّك متقطِّعٌ، فاتَتْك أشياء ولم تدركْها، فيتكلَّم عن أشياء سبقت مقدِّماتها، لو كنت متَّصلًا في الطَّلب، لأصبح الأمرُ سهلًا معك، ولأصبح هَذَا الدَّرس عبارةً عن حَلْقَةٍ مكمِّلَةٍ لِمَا قَبْلَهَا من الحَلْقَاتِ، إذًا، ممَّا يشين طالب العلم التَّقَطُّعُ في الطَّلب.

حادي عشر: الإهمال وعدم المراجعة:

انظر: كيف يشين ذلك طالبَ العلم ويعيبه؟ يأخذ علمًا، ويجمع علمًا، لكن ما يراجع، ويقال: «لا تُرْسِلْ جائعًا إلىٰ السُّوق، فسيشتري ما يحتاج وما لا يحتاج، ولكنِ ائتِ له بالطَّعام، فإن أَكَلَ أرسله بعد ذلك».

فطالب العلم إذا عمل بعلمه سَعَىٰ لِيُحَصِّلَ عِلمًا آخر، الَّذي يذهب

ليشتريَ الأغراض سيجمع أغراضًا، ثمَّ يذهب إلىٰ البيت، ويجعل الأغراض، هو لن يأكل من هَذِهِ الأغراض، هو لن يستعملَ هَذِهِ الأغراض، هو لا يزال في حاجةٍ إلىٰ نفس هَذِهِ الأغراض التي عنده، فإذا ذهب سيجمع نفس الأغراض، لكن؛ هل استفاد منها؟!

بعضهم يشتري كتابًا إلىٰ الأذكار، ثمَّ يجد كتابًا في الأذكار، فيشتريه، هل حفظت الأذكار؟ هل طَبَّقْتَ؟ إذًا، من اشترىٰ الطَّعام ولم يَأْكُلْ، فلا يزال جائعًا، فهو سيبحث عن طعامٍ، لكن لو أكل من هَذَا الطَّعام، لَشَعَرَ بشيءٍ ممَّا يُقِيمُ صُلْبَهُ، وهكذا يأخذ حاجته، ويأخذ نهمته؛ فَعَدَمُ المراجعة تجعل الإنسان تَمُرُّ به المسائل مكرَّرة، ربَّما أحيانًا يكتبها، ثمَّ بعد ذلك لا يقرأ كتابته.

كم كتابًا كتبته وما قرأته؟ كم تعليقًا عَلَّقْتَهُ ولم تراجعْه؟ كم مُذَكِّرَةً شَحَنْتَهَا بالكتابة ولم تُمِلَّ ناظريك بقراءتها؟ وهكذا عاتب نفسك؛ لأنَّ هَذَا ممَّا يَشِينُ طالب العلم.

طالب العلم بحاجةٍ إلىٰ أن يَشْحَذَ همَّتَه بقراءة كتب التَّراجم، وهَذِهِ جميلةٌ، فإذا لم يكن له علاقةٌ بالتَّراجم ذهبت عنه بعض القدوات، لا يستطيع أن يتصوَّر، قد يجد في زمانه شيئًا، لكن أيضًا مراجعة سِيَرِ الأوَّلين تَشْحَذُ هِمَّتَهُ، وأيضًا ينبغي لطالب العلم أن يعتني بنفسه من حيث التَّزْكِيَةِ، وهَذَا

سيكون في مجلس في يوم غَدٍ إن شاء الله، وهو معاملة طالب العلم لنفسه، من حيث التَّزكية، من حيث التَّعبُّد، من حيث أمور كثيرة سنتناولها إن شاء الله.

ثاني عشر: الحسد:

وهَذِهِ صفةٌ ذميمةٌ، أن يحسُدَ طالبُ العلم زميله، كيف يحسده؟ إذا أتىٰ بشيءٍ قال: لا، لا، ليس هذا! أو إذا أخطأ قال: هه، أخطأ؛ فيبحث عن زَلَّتِهِ، لماذا؟ لأنَّه قد أصابته غيرة، وهَذِهِ صفةٌ ذميمةٌ، وصفةٌ قذرةٌ، وهي من صفات إبليس، إذن ينبغي لك ألَّا تحسد، فهَذَا يُذْهِبُ بركةَ العلم والانتفاع به.

ومن ميزة هؤلاء الحسدة: أنَّه ربَّما يَذُمُّ المحسود بغير مَذَمَّةٍ وبغير دليلٍ، ولكن مجرَّد: اتركه، اتركه، لماذا؟ فقط اتركه.

وهَذَا حَسَدٌ؛ لأنَّها مَذَمَّةٌ من غير وجه حقٍّ، إن كان فيه ما يشينُهُ في دينه، فلا بُدَّ أن تنصحه أو ما هو الَّذي أتاك من جانب الدُّنيا، ولكن هو الحسد، الغيرة، ربَّما ذنبٌ، معاملته، شِدَّته، أخلاقه، لا يستطيع أن يذمَّه -مثلًا- في عقيدةٍ، لا يستطيع أن يذمَّه في منهجه، في تَعَبُّدِهِ، فتجده يقول: «هَذَا كذا، وهَذَا كذا».

وهَذِهِ السُّبَّةُ ليست لهَذَا الأمر، وإنَّما لأمورٍ نفسيَّةٍ، أو شخصيَّةٍ، أو ماليَّةٍ، أو اجتماعيَّةٍ، فيجعلها قضايا منهجيَّة، هَذَا غير صحيحٍ، إنَّما هَذَا نوعٌ من

المرض، شفانا الله وإيَّاكم من هَذِهِ الأمراض، فهي تُذْهِبُ بركة العلم.

ثالث عشر: الكِبْرُ والغرور:

حيث يَغْتَرُّ بنفسه، ويتجاهل الحاضرين، وَيَزْدَرِيهم، ما يعرفون يسألون، ما يعرفون يستفيدون، ما يعرفون، فيجعل نفسه هو الَّذي يعرف، وهو الَّذي يفهم، وهو الَّذي يدرك مراد العلماء، وهو الَّذي يعرف كيف يسألهم؛ وكيف وكيف...إلخ.

وهَذِهِ حَقِيقَةً صِفَةٌ أيضًا تُشِينُ طَالِبَ العلم، وَمَزْلَقٌ خطيرٌ، فَيَتَكَبَّرُ، وقيل: «إنَّ القصيميَّ سَبَبُ انحرافه كِبْره، وَاسْتِعْلَاؤُهُ، وازْدِرَاؤُهُ لِغَيْرِهِ، وَغُرُورُه بِنَفْسِهِ».

وهَذَا وَاضِحٌ في كتاباته، فطالب العلم لا بدَّ أن يتَّقِيَ نفسه من الحسد والكبر.

فممَّا يزين طالب العلم الاهتمام بأهل العلم، والدِّلالة عليهم، والاستفادة منهم، وهَذِهِ حتَّىٰ بين طلبة العلم والعلماء؛ حتَّىٰ تكون هَذِهِ الصِّفات.

أيضًا يقال: «إنَّ الأَقْرَانَ كَالدِّيَكَةِ»، وهكذا، فربَّما طعن في غير محلِّ طَعْنٍ، ولكن الَّذي يُعَالِج نفسَه تَجِدْ عنده التَّقدير، وعنده الثَّناء العَاطِرُ علىٰ

إخوانه.

والنَّبيُّ ﷺ أتت إليه امرأةٌ، فَأَمَرَها أن ترجعَ إليه، قالت: أَرَأيتَ إن جِئْتُ ولم أَجِدْكَ؟ كأنَّها تقولُ: المَوْتَ، قال ﷺ: «**إنْ لَم تَجِدِيني؛ فَأْتِي أَبَا بَكْر**»(١).

وهَذَا فيه أن النبي ﷺ دلَّهَا علىٰ مَنْ يَثِقُ في دينِه وعِلْمِهِ وأَمَانته.

وقد مرَّ معنا أنَّ عبدَ الرَّحمن بن يزيد قال: سَأَلْنَا حُذيفة عن رجلٍ قَريب السَّمْتِ والهَدْي من النبيِّ ﷺ حتَّىٰ نأخذَ عنه، فقال: «ما أَعْرِفُ أحدًا أَقْرَب سَمْتًا وهَدْيًا ودَلًّا بالنبيِّ ﷺ من ابنِ أُمِّ عَبْد»(٢)، وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وهكذا، ليس فيه حَسَدٌ، بعض النَّاس لا يرىٰ إلَّا نفسه: «أنا، أنا ابن جلا وطلَّاع الثَّنايا، أنا الَّذي لا تستفيدون إلَّا مِنِّي، إلام تذهبون يا مساكين؟ الفائدة عندي فقط». فَيَمْدَح نفسَه، غُرورًا، فيَعيب من يذهب عنه حقدًا وحَسَدًا وكِبْرًا واستعلاءً، وكلُّها صِفَاتٌ سِيِّئةٌ جدًّا وذَمِيمةٌ، يرفع طالبُ العلم نفسه عنها، الَّذي يتعلَّم من العلم ما تَزْكُو به نفسه، وما تَطْهُر، وما يَسْعَىٰ به لرفع الجهل عنها، يَسْعىٰ للعمل.

ولذلك نُوصي طالب العلم أن يُكثِر من المشايخ، فيتعلَّم عند العلماء؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩) من حديث جُبير بن مُطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٢).

لأنَّ هَذَا يزيلُ عنه التَّعَصُّبَ، وأحاديث النَّظرة، وليس عنده إلَّا قول شيخه، إذا عرف العلماء واستفاد منهم، حيث إنَّ طرائقَهم مُختلفةٌ في التَّعليم، وفي الاستدلال، وفي الدِّلالة علىٰ المسألة، أو طرق إيضاح العلم للمتعلِّمين، فيستفيد من هذا، ويستفيد من هذا، ويعرف أدلَّة هذا، ويعرف أدلَّة هذا، فتصبح عنده مَلَكَةٌ وَسَعَةُ أُفُقٍ، وَسَعَةُ صَدْرٍ أيضًا، وَسَعَةٌ للخلاف بين أهل العلم.

وهَذَا سنذكره في دَوْرِ طَالب العلم، أو ما يجب علىٰ طالب العلم في الخلاف بين العلماء، فيعرف قَدْرَ من معه مِنْ أهل العلم، وكان أحدُهم لمَّا سأل أبا موسىٰ الأشعريَّ قال: «لا تَسْأَلُوني مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فيكم»[(١)].

يعني من؟ يعني ابن مسعود، وهَذَا دلالةٌ عليه، وكما قيل: «لا يُسْأَلُ وَمَالِكٌ في المدينة». لهَيْبَة عِلْمِهِ، وَأَمْره، وهكذا، ولذلك يَنبغي لطالب العلم أن يعرف قَدْرَ أهل العلم.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٦)، **والحبر**: العالِم المُتبحر في العِلم.

المجلس السابع

أخلاقيات طالب العلم
مع من حوله

المجلس السابع
أخلاقيات طالب العلم مع من حوله

حديثنا في هَذَا المجلس حول أخلاقيَّات طالب العلم مع مَنْ حَوْلَهُ؛ يعني ما يتعلَّق بطالب العلم ونفسه، نصيبه من القرآن، نصيبه من اللَّيل، قيام اللَّيل، نصيبه من الزُّهد في هَذِهِ الحياة الدُّنيا، جانب الوَرَع، وفرق بين الزُّهد والورع؛ فالزُّهْدُ تَرْكُ ما لا ينفع في الدَّار الدُّنيا، والوَرَعُ تَرْكُ ما قد يَضُرُّ في الدَّار الآخرة، وطالب العلم يكون وَرِعًا.

أيضًا مسألة المعاصي والزَّلَّاتِ والأخطاء؛ فَمِنْ أَشَدِّ ما يكون علىٰ طالب العلم بَعْدَ فتنة حبِّ الظُّهور، **تأتي فتنة المال وفتنة النِّساء**.

❐ فتنة المال وفتنة النِّساء:

فتنة المال؛ حيث يفتن بتحصيله وبطرقِ جمعه، حتَّىٰ لو كانت غير مشروعةٍ، حتَّىٰ لو أهان نفسه وَذَلَّهَا.

أو من الفتنة الأخرىٰ: فتنة النِّساء، ربَّما يدخل في فتنة النِّساء من جانب طلب العلم والدَّعوة إلىٰ الله، فَينبغي للإنسان أن يَحْذَرَ، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «مَا

تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[١]، أو هكذا، أو كما قال ﷺ، كذلك فُتِنَ الأُمَمُ السَّابقة في النِّساء.

لا سيَّما وهَذَا العصر من خلال الإنترنت أو الإيميل أو الاِتِّصَال الهاتفي أو الجوَّال، ولا شكَّ أنَّ الإنسان ربَّما يتوسَّع في أمرٍ ليس له فيه سعةٌ، سواء بالتَّبَسُّطِ في الكلمات أو الضَّحِكَاتِ أو المؤانسة بالاِتِّصَالات، والشَّيطان يزيِّن هَذَا باسم الدَّعوة إلىٰ الله، وباسم طلب العلم، وكم حصلت من فِتَنٍ وشرورٍ وأخطارٍ بسبب هَذِهِ الأمور!

❐ وبالنسبة للنِّساء:

فإنَّ ما ينبغي لطالب العلم ينبغىٰ كذلك لطالبة العلم أيضًا، فعليهما أن ينتبها من هَذَا الجانب، فكما أنَّ هناك مزالق لطلَّاب العلم، أيضًا علىٰ طالبات العلم، بل بَلَغَنِي أنَّ بَعْضَهُنَّ يَجْتَمِعْنَ في استراحات باسم الدَّعوة، استراحات كما يجتمع الشَّباب، وهَذَا لا شكَّ له الآثارُ السَّيِّئَة الكثيرة.

فالله تبارك وتعالىٰ لم يأمرِ النِّساء بالدَّعوة؛ لذلك لم يجعل الله نبيَّةً، إنَّما المُكَلَّفُ بالدَّعوة هم الرِّجال، وأمَّا المرأة بحسب طاقتها في بيتها، أو زوَّار يأتون إليها، وأمَّا التَّنَقُّلات والسَّفَرِيَّات، فما عُرِفَتْ إلَّا عن بعض

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة رضي الله عنه.

الجماعات البدعيَّة المتأخِّرة: كالإخوان المسلمين، وجماعة التَّبليغ الَّذين أخرجوا النِّساء من البيوت، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

لو كان لهنَّ مكانٌ يَجْتَمِعْنَ فيه في المسجد، فلا بأس؛ فالنبيُّ ﷺ جعل لهنَّ مَجْلِسًا، أمَّا هَذِهِ الاجتماعات في الاستراحات، ثمَّ تسافر لها النِّساء، وتأتي لها النِّساء، وفلانةٌ داعية، وفلانةٌ داعية، ولربَّما سُوِّلَ في نفسها أن تركب التَّاكسي من دون مَحْرَمٍ باسم الدَّعوة، ولربَّما حصلت الخَلْوَةُ باسم الدَّعوة.

ولربَّما سافرت من غير ذي محرم باسم الدَّعوة في سبيل الله، بل لربَّما جلست مع الرِّجال وأجرت الاتصالات، كأنَّما هي رجلٌ من الرِّجال، وهَذَا مزلق خطير ينبغي للمرأة أن تنتبه لنفسها، وكم من امرأة طُلِّقَتْ بسبب هَذَا التَّوَسُّعِ، وكم من فتاة عذراء بِكْرٍ تعطَّلت من الزَّواج؛ لأنَّ الكلَّ لا يرغب فيها؛ لأنَّها فيها صفات الرِّجال، وهكذا، ينبغي للمرأة أن تنتبه لنفسها في مسائل الطَّلب.

❐ برُّ وطاعة الوالدين والإحسان إليهما:

أيضًا فيما يتعلَّق بطالب العلم في معاملة الوالدين، لا بدَّ أن تكون المعاملة بالاحترام والتَّقدير ولين الجانب، وخفض الجناح وعدم

الرَّدِّ وعدم رفع الصَّوت، إنَّما يكون بالدُّعاء: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤]، ولذلك قيل في مثل هذا: كيف يكون هَذَا الذُّلُّ، وهَذَا الخطاب، وهَذَا القول الكريم؟ فقيل: «هو كما يخاطب العبد المذنب سيِّده».

كيف يكون هَذَا الخطاب؟ فيه انكسارٌ وفيه... إنَّا نجد بعض من ينتمون للطَّلَبِ ليِّن الجانب مع شيخه، ولكنَّه شديد البأس مع والديه، الوالد أولىٰ من الشَّيخ، فلا بُدَّ أن يكون خطابك للوالد أو الوالدة خطابًا فيه أَدَبٌ؛ «نعم، بيّه» علىٰ حسب أحيانًا بعض العبارات الدَّارجة، «مي»: «ائمُرِي يا مَّه». «نعم» بعضهم إذا خوطب: «ها» «ليش ما تقولوا لفلان» «خلُّوا فلانًا، أنا مشغول، عندي بحث».. هَذَا غَلَطٌ.

الواجب طاعة الوالدين، فيفتح الله عليك في هَذَا البحث، فتجد، فيفتح الله عليك في هَذه المسألة؛ فتجد، فلا تقدِّم هَذِهِ علىٰ حقِّ الوالدين؛ فحقُّ الوالدين لا يَعْدِلُهُ حَقٌّ؛ فقد ذكره الله بعد حقِّه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

فيا طلبة العلم، اللهَ اللهَ في والديك! في الاحترام! حتَّىٰ يَدْعُوَا لكم

بالتَّوفيق، يدعُوَا لكم بالفَهْمِ، فدعاء الوالد مجابٌ لولده، وإيَّاك أن تُرْمَىٰ بِسَهْمِ دعوةٍ فتصيبك، فتعيش في حياتك مخذولًا؛ بسبب سهمٍ قد أصابك وهو في مَحلِّهِ، فالوالدان ينبغي أن يكون لهما التَّقْدِيرُ.

❐ طالب العلم وزوجته وأولاده وأرحامه :

أمَّا عن الزوجة؛ فكيف تكون معاملته لزوجته؟ تجد بعض طلبة العلم لا يُعِيرُ هَذِهِ المرأة احترامًا، ولا تقديرًا، يريد أن يكون الطَّعام جاهزًا في وقته، وكذلك وقتُ اللِّباسِ، يكون اللِّباسُ جاهزًا، هل هي آلة؟ بالطبع لا، بل هي امرأةٌ ذات إحساس، هي أُنْثَىٰ ترغب في العاطفة، طالب العلم هَذَا لو اتَّصَلَتْ به سائلةٌ لوجدت مِنْ لِينِ الجانب، وإيصال العبارة والتَّفهيم ما لا يُعَامِلُ به زَوْجَتَهُ، وهَذَا غَلَطٌ، فهي أَوْلَىٰ بِهَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ.

مِنْ حَقِّهَا المشاعر الحَسَنَةُ واللُّطْفُ، كم كَفَتْكَ؟ وكم هَيَّأَتْ لك بما يساعدك في الجَوِّ العلميِّ للبحث؟ أو حتَّىٰ في تربية الأبناء وأنت في الرِّحلة والطَّلَبِ؟ فإذا أتيت: «أنا تَعِبٌ، أنا مشغول، أنا كذا، أنا كذا» كم صَنَعَتْ؟ كم أَدَّتْ؟ كم هَيَّأَتْ؟

فلذلك لها حَقٌّ؛ فَطَالِبُ العلم بعد عنايته بوالديه، له عنايةٌ فائقةٌ بزوجته، هي خليلته، هي صاحبته، هي معه أكثر الوقت، كيف لو أنَّه جعل درسًا أيضًا في البيت، درسًا علميًّا، تتذاكر وإيَّاهم، إنَّ بعض النَّاس يُمِيطُ الذُّبَابَ عن

النَّاس، والعقرب تحت قدمه، وهو ذو دَعْوَةٍ ونشرٍ للخير في النَّاس، ولكنَّ بيته مَحْرُومٌ مِنَ الخَيْرِ الَّذي عنده، بيته محرومٌ مِنَ العِلْمِ الَّذي عنده، زوجته، أبناؤه، أو زوجاته، أو أبناؤه، والداه محرومان من العلم الَّذي عنده، إذا جلس معهم فهو عامِّيٌّ بسيطٌ، لا ذِكْرَ للآيات ولا للأحاديث، ولا تعليم.

إنَّما يَجِبُ عليك وجوبًا أوَّليًّا أن تُعَلِّمَهُم، وأن تُنْقِذَهم من النَّار، ماذا قال الله تبارك وتعالىٰ في هذا: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه:١٣٢]، أصل الصَّبْرِ ثلاثيَّةٌ، لكن زِيدَ في مبنىٰ الكلمة؛ دَلِيلًا علىٰ الزِّيادة في المعنىٰ، وهي من المجاهدة والصَّبْرِ لهم؛ لأنَّه يجدُ منه مِنَ المَشَقَّةِ، وبعض النَّاس يقول: «أَنَا أَمَرْتُهُم، نَبَّهْتُهم، انتهىٰ» لا، الاستمرار والمداومة في تعليم الأهل.

أيضًا ممَّا عليه من هَذِهِ المعاملات، وهَذِهِ الأخلاقيَّات، أو الأدبيَّات: معاملته لأولاده، ربَّما نَجِدُهُم: بعض النَّاس يعامل طلَّابه معاملةً فائقةً ورائقةً، لا يجدها أبناؤه منه، هَذَا غَلَطٌ، لا بدَّ أن يحسن، أوَّل إحسانه لأولاده، وأن يعلِّمهم، وأن يَحْذَرَ، ترىٰ أنَّ العداوة يمكن أن تكون في البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤]، ومع

ذلك منهم سَكَنٌ.

وإذا مِتَّ لا ينقطع عَمَلُكَ إذا كان هَذَا الولد ولدًا صالحًا، أَلَا تَعْتَنِي بِوَلَدٍ صالحٍ في بيتك؟ عملٌ لا ينقطع؟ وهَذَا ممَّا يجب علىٰ طالب العلم أن يَهْتَمَّ به في مسألة التَّرْبِيَةِ، أبناؤك علىٰ الخير، لا تغلق عليهم، ولا تفتح لهم، كن بين ذلك متوسِّطًا معتدلًا، لا تمنع المُباح، ولا تَتَساهَلْ في الممنوع، فالمُباح أباحه الله، والممنوع منعه الله، فلا تجعلِ المُباح في منزلة الممنوع.

أيضًا معاملة طالبِ العلمِ للأرحام؛ مُعَامَلَتُهُ لأرحامه، أَعْمَامِهِ، عَمَّاتِهِ، أَخْوَالِهِ، خالاتِهِ، وبني هؤلاء، وكذلك الأجداد، لهم حقُّ الرِّعَايَةِ، يحضر مناسباتٌ: في الأفراح، وفي الأتراح، وإذا كان هناك مُنْكَرٌ نبَّه عليه؛ لأنَّ هناك مِن طلبة العلم مَن لا يتكلَّم في قومه ولا مجتمعه، والله تبارك وتعالىٰ قد أمر بأن يعتني الإنسان بِمَنْ لهم عليه الحقُّ، كما قال الله ﷻ لِنَبِيِهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤].

وأيضًا الأقربون أَوْلَىٰ بالمعروف؛ فَأَنْ تَنْصَحَ أَهْلَكَ وأن تَنْصَحَ أرحامك، أَوْلَىٰ من أن تذهب يمينًا وشمالًا، فهؤلاء هم مَحَلُّ الزَّرْعِ، هم مَحَلُّ الحَرْثِ، ثمرةٌ مباركةٌ، فلا تنسَ ذلك، فالنَّبيُّ ﷺ بدأ بعشيرته الأقربين، ثمَّ أمره الله بأن يدعو كما قال له: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فبدأ

ينشر دعوته ﷺ.

إنَّ من النَّاس من يذهبُ يمينًا وشِمَالًا، ومع ذلك ليس له في أرحامه نَصِيحَةٌ؛ فينبغي لطالب العلم أن يكون أَكْثَرَ هؤلاء صِلَةً، وَأَبْعَدَهُم عن القَطِيعَةِ، إذا كان طالب العلم مع مجتمعِهِ صاحب قَطِيعَةٍ للأرحام، ما فَرْقُهُ من العَوَامِّ الَّذين يتعاملون بالشَّحْنَاءِ والبَغْضَاءِ والأحقاد؟

طَالِبُ العلم يتميَّزُ بأنَّه نِبْرَاسٌ، بأنَّه قُدْوَةٌ صالحةٌ في مجتمعه، فيا طلبة العلم، إنَّ النَّاسَ يَنْظُرُون لكم كَقُدْوَاتٍ، بل لَرُبَّمَا حَصَلَ مُنْكَرٌ في المجلس، فيلتفتُون إليك، فإن تَكَلَّمْتَ انتبهوا، وإن سَكَتَّ وانْصَرَفْتَ تَهَامَسُوا بينهم، أَنْ ليس في هَذَا شَيْءٌ، لو كان في هَذَا شَيْءٌ لَأَنْكَرَ علينا فلانٌ، والعَوَامُّ يَتَّخِذُونَ أفعالَ الصَّالحين وَطَلَبَةَ العلم حُجَّةً، بدعوىٰ أن لو كان الأَمْرُ الَّذي وَقَعْنَا فيه مخالفًا لَأَنْكَرَ علينا فلانٌ... وهكذا.

وهَذَا يقع -يا معشر الإخوةِ- في كثيرٍ مِن المَجَالِس، سواءً في منكرات الأفراح، أو في منكرات المجالس، أو التقاء أبناء العشيرة؛ فهم يَنْظُرُونَ لطالب العلم نَظْرَةً خاصَّةً، فهو إن نَبَّهَهُم فهم يعلمون أنَّهم علىٰ خطأٍ، ربَّما يَسْتَمِرُّون، لكن يعلمون أنَّ هَذَا لا يوافقهم فيه، وإن سكت، السُّكُوتُ عندهم حُجَّةٌ علىٰ جواز الفعل والمواصلة فيه، حتَّىٰ علىٰ مستوىٰ لَعِبِ الورق، أو حتَّىٰ علىٰ مستوىٰ بعض الألفاظ أو التَّصَرُّفَاتِ السَّيِّئَةِ، فيقول: «فلانٌ كان

معنا، لو كان في ذلك شَيْءٌ لَنَبَّهَنَا». وهكذا.

❐ معاملة طالب العلم للمجتمع:

المجتمع عبارةٌ عن خَلِيطٍ من النَّاس: الجَيِّدِ والسَّيِّئ، الفقير والغنيّ، والأمير والمأمور، الحاكم والمحكوم، المُجْتَمَعُ مختلف في تكوينه وتركيبه، ومع ذلك ينظرون للصَّالحين وأهل العلم نَظْرَةً مُتَمَيِّزَةً، في مَلْبَسِكَ، في هَيْئَتِكَ، في دخولك للسُّوق؛ لأنَّ هَيْئَتَكَ تفرض أحيانًا عليك بعض الأمور؛ فالصَّالح عندما يأتي -طالب العِلْمِ- بَيِّنَةٌ صِفَتُهُ؛ لأنَّ بعضهم يربِّي اللِّحْيَةَ، وبعض النَّاس اللِّحية تُرَبِّيه.

واضح، أحيانًا ربَّما يريد أن يَقَعَ في شيءٍ، لكن يستحي، ويهاب من هَذِهِ أن تُرَىٰ في هَذَا الموطن، فهَذَا رَبَّتْهُ هَذِهِ اللِّحية، ليس هو الَّذي ربَّاها؛ لأنَّها مَنَعَتْهُ عن مواقف، عن تصرُّفاتٍ، تجد طالب علم في الطَّريق العامِّ، وهيئته هيئة الصَّالحين، يقود السَّيَّارة، يقطع الإشارات، يتجاوز تجاوزًا سَيِّئًا، سرعة جنونيَّة، فتجد النَّاس يتَّهمون الصَّالحين.

ربَّما يتكلَّمون: «هؤلاء لا يَحْتَرِمُونَ الآخرين». ربَّما هو يُمَارِسُ هَذَا الخَطَأَ نَفْسَهُ، ولكن لا ينظر علىٰ أنَّه خَطَأٌ، كما أنَّه خطأٌ من فلان المعروف، هَذَا خطيبنا، هَذَا إمامنا، هَذَا شيخنا، ومع ذلك يفعل كذا، فأنت تترك هَذَا ليس من أجل النَّاس؛ إنَّما مِنْ أَجْلِ الله تبارك وتعالىٰ، وألَّا يُوْصَفَ من يتَّصف بصفاتك

بِهَذِهِ النَّقائص، إذًا هَذِهِ ممَّا يجب علىٰ طالب العلم في مجتمعه.

أيضًا أموره الاجتماعية في هَذَا المجتمع، من: إعانة المعدوم، والوقوف في النَّوَائِبِ، وَإِنْكَارِهِ للمُنْكَرِ، وَتَعَاوُنِهِ مع أهل الخير والصَّلاح؛ فطالب العلم معروف عنه مواقفه في مجتمعه؛ فهو ليس شخصًا هامشيًّا، إنَّما هو إنتاجيٌّ في حَيِّهِ ومعروفٌ، هو حَيٌّ في حَيِّهِ، وَيُحْيِي الحَيَّ، مِنْ بَلَاغٍ وَتَنْبِيهٍ وَدَعْوَةٍ وإصلاح، ورعاية أَرْمَلَةٍ ومطلَّقةٍ، ورعاية يتيمٍ وفقيرٍ ومسكينٍ.

فطالب العلم عندما يفقد في مجلسه، وإمام المسجد، الجماعة، ربَّما بعضهم لو غاب لن يُفقَدَ، لكن لو غاب هو فُقِدَ؛ لأنَّهم ينظرون إليه بمثابة الأبِ، الجميع سيفقدونه، لو فرضًا واحدًا، لو يومًا واحدًا فيدركون إقامته وَسَفَرَهُ، وجوده وغيابه، فهو أبو الحيِّ، يرجعون إليه، ويستعينون برأيه، ويستفيدون منه.

فينبغي له أن يَبْذُلَ لهم النَّصِيحَةَ، وألَّا يكون استغلاليًّا أو غير مُبَالٍ، هَذَه مسائل مهمَّة لمعاملة طالب العلم في مجتمعه؛ لأنَّ هَذِهِ حُقُوقٌ، تجب عليه من حيث المعاملة.

الحقيقة، إنَّ الكلام في مثل هَذَا يطول، ثَمَرَةُ هَذَا كلِّه أن يكون طَالِبُ العِلْمِ عَامِلًا بعلمه، بما يجب عليه في الوقت المناسب، والزَّمان المناسب، بالتَّصَرُّفِ المناسب، ما يجب عليه ينبغي ألَّا يَتَخَلَّفَ فيه، ينبغي لك ألَّا تُفْقَدَ

حيثما يجب أن توجدَ، وألَّا توجد فيما يجب عليك أن تُفْقَدَ فيه، المنازعات، المهاترات، قيل وقال.

❐ **طالب العلم وزملاؤه:**

الزُّمَلَاءُ لهم حقوقٌ؛ حفظ السِّرِّ، بينهم أسرارٌ، فليس كَوْنُهُ صَاحِبًا لك سِرُّهُ خَفِيٌّ، وعندما يَحْصُلُ بينك وبينه شَيْءٌ، تَنْشُرُ زَلَّتَهُ، أو تَنْشُرُ أَمْرَهُ، أو تَفْضَحُ سِتْرَهُ، وَتَهْتِكَ أَمْرَهُ.

أيضًا ذكره بالحَسَنِ؛ فَيَتْرُكَ منه غِيبَةً، ويترُك منه النَّمِيمَة، ويترك منه التَّحْرِيشَ، وَمقَالةَ السُّوءِ، إنَّما ينبغي له أن يَحْتَرِمَ زميلَه؛ كإفساحِ المجلس له، والتَّهادي فيما بينهم، سواء بالكتب، بالأقلام، أو حتَّىٰ بالفوائد العلميَّة، وهكذا، فطالب العلم مع إخوانه وزملائه يذكرونه بخير.

إنَّ بعضَ النَّاس تتمنَّىٰ أُلْفَتَهُ وَصُحْبَتَهُ والرِّحلة والذَّهاب معه؛ لِدَمَاثَةٍ في خُلُقِهِ، وَنُبْلٍ فيه، وَكَرَمٍ في يده، فتتمنَّىٰ لو رحل أنَّك له صاحب، بل خادم؛ لِمَا تجد من فوائد حيويَّة عندما تصحبه، وبعض النَّاس لو يدفع لك مالًا تتعذَّر من صحبته؛ لِمَا تَجِدُ مِنْ مَشَقَّةٍ وَعَنَتٍ، شَكَّاكٌ، صاحب رأيٍ استقلاليٍّ، لا يبالي في صحبته.

لا، ينبغي لطالب العلم أن يُولِيَ زملاءه الاحترام والتَّقدير، وأن يعمل

معهم مثل ما يحبُّ أن يعملوا معه، وأن يبادلَهم بما يرغبُ أن يبادلوه به، «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[(١)].

فكما أنَّك تريد أن يُخَالِقَكَ النَّاسُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فأنت تُخَالِقُ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، يَدَعُ فُحْشَ الكلام، وَبَذِيءَ العبارة، وسيِّئَ التَّصَرُّفِ، وَدَنِيءَ الفِعَالِ، وخبيث الطِّباع، يترك هَذَا كلَّه، وينتقي من الأمور خيارَها، كما ينتقي أطايبَ الكلم.

فهَذَا حال الصَّحابة؛ يَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الكلم، كما ينتقون أطايب الطَّعام، فإنك مثلًا إذا قُدِّمِ لك طعامٌ ممَّا تختارُه كَتَمْرٍ أو رُطَبٍ، فلا تُغْمِضُ عَيْنَيْكَ وَتَأْكُلُ.

هو إناءٌ واحدٌ، تَنْظُرُ، تختار هذه، ثمَّ تختار هذه، مع أنَّها واحدةٌ، فهَذَا معنىٰ أنَّه يختار أطايب الطَّعام، ليس هو هكذا يأكل، إنَّما يختار من الطَّعام أَطْيَبَهُ، كذلك الأصحابُ تختار أَفْضَلَهُم، فإن وُفِّقْتَ لمن هو أعلم منك، تقول: غنيمة، أستفيد من عِلْمِهِ، وإن وُفِّقْتَ لقرينٍ لك، تقول: نعمة، أتذاكر معه. وإن وُفِّقْتَ لمن هو دونك، تقول: نعمةٌ، أتذاكر وأفيده... وهكذا.

ليس إذا كان أعلم منك احْتَقَرْتَه، وَتَرَفَّعْتَ من أن تستفيد منه، وإن كان

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣) (٢١٣٩٢)، والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٠٨٣).

قرينًا لك تَنَقَّصْتَهُ، لا، ليس هكذا، الجواب هكذا، لا، أنت غَلَطٌ، الصَّحيح هكذا. فهَذَا لا تُرْغَبُ صُحْبَتُهُ، والنَّاس تبتعدُ عنه، أو إذا وَجَدَ مَنْ هو دونه أصبح، كما يقال بالعامِّيَّة: «تَعَنْتَرَ عليه»: أنت لا تفهم، أنت لا تعرف، يا أخي؛ هَذِهِ جوابها هكذا، ماذا بك؟! أنت بليدٌ! فيستخدم معه أمورًا يحتقره فيها، ويزدريه فيها، وهكذا كثيرٌ من الطُّلَّاب والزُّملاء، لا يرغبون أن يكون لهم صاحبًا.

مواقف ينبغي لطالب العلم أن ينتبه فيها

مواطن الفتن:

لا تستشرفِ الفتنة؛ فمن اسْتَشْرَفَ لها اسْتَشْرَفَتْ له، ولذلك نهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن الإقبال علىٰ الفتن، ولكنَّ أهل العلم يعرفونها إذا أقبَلَت، هَذِهِ فتنةٌ، وأمَّا أهل الجهل والبِدَعِ والضَّلَالِ، فإذا أقبلتِ الفِتَنُ أقبلوا عليها، وإذا أقبلوا عليها واستشرفوها استشرفتهم، ومن الواجب ألَّا يُقْبَلَ عليها، بل حتَّىٰ لو كان يجري ينصرف أو يجلس، ويبتعد عن هَذِهِ الفتن، والفتن كثيرةٌ، ونحن في عصرٍ كثُرتْ فيه الفتن.

ومن أَشَدِّ الفتن الآن: (قيل وقال)، والجماعات، والجماعة الفلانيَّة والجماعة الفلانيَّة، وماذا يقولون، وقالوا، وهؤلاء قالوا، هؤلاء فعلوا، هؤلاء سَوَّوْا... وهكذا!

دعك منهم؛ اتركهم واطلب العلم، أنت عَرَفت أنَّهم علىٰ باطلٍ... انتهىٰ الأمر، أنت حَضَرْتَ وحذَّرتَ، والأمر أصبح لك واضحًا، إذًا، لا

تَذْهَبْ نَفْسُكَ عليهم حسراتٍ، ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف:٦]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢].

إنَّما تنشر الحَقَّ، ولا تلتفت للخَلْقِ، إنَّما يُلْتَفَتُ إلىٰ الخالق وما يريد منك، وموقف طالب العلم من هَذِهِ الجماعات والفرق- موقف المباينة والتَّحذير والحذر، لا المُلاينة والمُسايسة، ولا موقف القائل: (التَّعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)!

فهَذَا كلامٌ باطلٌ، هَذَا ليس كلامًا شرعيًّا، هَذَا كلامٌ سياسيٌّ، هَذَا كلام غِشٍّ، ليس كلامًا مِنْ مشكاة النُّبُوَّةِ، فالنَّبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١)، هَذَا في البُرِّ والطَّحين، كيف في الدِّين؟! إذا كان في الطَّعام والأكل: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، كيف مَنْ يغشُّ النَّاس في الدِّين؟!

إذن، لِتأخذْ حذرَك منهم، فهؤلاء غشَّاشون، يجب أن يكون موقف طالب العلم من هَذِهِ الجماعات والفرق وأهل البدع موقفًا واضحًا.

❐ طالب العلم ووليُّ الأمر:

أمَّا عن موقف طالب العلم تجاه ولاة أمره: فهو موقف السَّمع والطَّاعة

(١) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في طاعة الله، والنَّاس في هَذَا ثلاثة أصنافٍ، منهم من هم نظرتهم نظرةٌ رافضيَّةٌ، وهم يرون عصمة الوُلاة، أنَّ وَلِيَّ الأمر لا يُخْطِئُ، فهَذِهِ نظرةٌ رافضيَّةٌ؛ لأنَّها ترىٰ عصمة من؟ عصمة الأئمَّة، لايخطئون، وهناك نظرةٌ خارجيَّةٌ، جميع وُلاة الأمر كفَّار، ليس فيهم خير، ولكنَّ النَّظْرَةَ الشَّرْعِيَّةَ أنَّ هؤلاء وُلاة أمرٍ، لهم السَّمع والطَّاعة في طاعة الله، ولا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق.

النَّظْرَةُ الأولىٰ الَّذين رأوا فيهم العصمة، يرون طاعتهم في كلِّ شَيْءٍ؛ في الحقِّ وفي الباطل، والَّذِينَ نَظْرَتُهُم خارجيَّةٌ قد كفَّروهم، فلا يرون لهم طاعةً، في كلِّ الأحوال، ولكنَّ النَّظْرَةَ الشَّرْعِيَّةَ القائمة علىٰ الآثار السَّلَفِيَّةِ، أنَّ طاعة وُلاة الأمرِ في طاعةِ اللهِ، وإذا عَصوا أو أَمَرُوا بمعصيةٍ؛ فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخَلْقِ، مع بقاء الولاية لهم، وَعَدَمِ خَلْعِ البَيْعَةِ وترك الجماعة.

فالخوارج ليس عندهم مشكلةٌ في الأسماء والصِّفات، الَّذين خرجوا علىٰ عَلِيِّ بن أبي طالب، وليس عندهم مشكلةٌ في توحيد العبادة والشِّرْكِيَّاتِ، لكنَّهم وقعوا في ثلاثٍ: اعتزلوا الجماعة، وخلعوا البيعةَ، وكفَّروا الحاكم، فقاتلهم عليٌّ.

ما أشبه اللَّيْلَةَ بالبارحة! فما يأتي أحدٌ من الصَّحابة يقول: هم سلفيُّون في جانب الأسماء والصِّفات، في جانب التَّوحيد والعبادة، لكن عندهم هَذِهِ

الأشياء عندهم فَهْمٌ فيها، قاتلهم عَلِيٌّ، ولم يلتفت لما هو معه موافق، أو وافقوه.

مع أنَّ هَذِهِ أصولٌ، لكنَّهم خالفوا أيضًا في أصولٍ، خالفوا في وحدة الجماعة، وخالفوا في وحدة القيادة والبَيْعَةِ؛ لأنَّ الأمر مُنَاطٌ بِخَمْسٍ: وحدة المعبود، وحدة العقيدة، وحدة المتبوع، الاتِّباع للنَّبيِّ ﷺ وأيضًا وحدة القيادة، وليُّ الأمر، وحدة الجماعة؛ جماعة المسلمين، وحدة المرجع والتَّحاكم: كتاب الله وسُنَّةِ رسوله، هَذِهِ مسائل مهمَّةٌ ينبغي أن يُنْتَبَهَ لها.

❐ **موقف طالب العلم من خلاف العلماء:**

فأَهْلُ العِلْمِ يختلفون، ويقعون في شيءٍ من الاختلاف، وهَذَا الاختلاف وَارِدٌ، فَيَنْبَغِي للإنسان أن يَأْخُذَ عِلْمَهُ ممَّن يثق فيهم، إنَّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دِينكُم، لا يأخذه مِنْ بَطَّالٍ، أو رَجُلٍ عنده بِدَعٌ؛ ففي أهل السُّنَّةِ كفايةٌ وغنيةٌ، كيف وقد تَهَيَّأَتْ سُبُلَ التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ من خلال الوسائل التي استعرضناها وذكرناها؟ فما لا تستطيع الحضور بين يديه، تستطيع أن تحضر مِنْ خلال السَّماع وغير ذلك.

أمَّا خلاف أهل العلم، فهناك أمورٌ في العقيدة، وهناك أمورٌ في العبادة، وهناك أمورٌ في المعاملة، خلاف العقيدة لا ينبغي ومرفوضٌ، الرُّجوع إلىٰ ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابة، وأمَّا مسائل الأحكام فينظر: هل هي ممَّن اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ وَأَتَىٰ الدَّلِيلُ فيه؟

فهَذَا يُرْجَعُ فيه إلىٰ الأدلَّة، وأمَّا إن كانت مسألة النَّازلة للاجتهاد فيها مَحَلٌّ، فينظر مَنْ يَثِقُ فيه، في تَقْوَاهُ، التَّحَرِّي في الدَّليل، وعلمه، وتضلُّعه في العلم، وقوَّته، وملكة الاستنباط عنده، وهناك مرجِّحاتٌ كثيرةٌ، لا لأنَّه يوافق هواك، أو يخالف هواك، لا، ربَّما أحيانًا تستقرُّ نَفْسُكَ لِقَوْلِ عالمٍ ثقةٍ ثَبْتٍ، وإن كانت هَذِهِ الفتوىٰ لا توافق هواك.

وأمَّا أن تُقَدِّمَ مَنْ هو دونه؛ لأنَّه خالفه، لأنَّ المسألة وافقت هوًىٰ في

نفسك، فهنا أنت لم تُرَجِّحْ هَذَا القول؛ لرؤيتك أنَّه علىٰ الخير، بل لِهَوًىٰ في نفسك، وهَذَا يقال فيه: لا تعتقد ثمَّ تستدلَّ، وإنَّما اسْتَدِلَّ ثمَّ ابْنِ اعتقادك؛ فبعض النَّاس يتصوَّر شيئًا في ذِهْنِهِ، ويرىٰ منعه أو جوازه، ثمَّ يبحث من الأدلَّة ما يبرِّر منعه أو جوازه، هَذَا غَلَطٌ، معناه أنَّكَ تبحث عمَّا يوافق شيئًا في رأسك.

ولكن أنت انظر الأدلَّة، ثمَّ بعد ذلك تستجيب؛ فإذا جعلت هَذِهِ علىٰ مَحَلِّ البحث والنَّظَرِ، أصبح عندك صَفَاءٌ، وأصبح عندك تَمْيِيزٌ، وليس فقط تَتَّبِعُ ما وَافَقَ هَوَاكَ.

هَذِهِ بعض الأمور المتعلِّقةُ في هَذِهِ المواقف، فالنَّاس مع أهل العلم علىٰ ثلاثة أحوالٍ:

- منهم من غَلَا فيهم، ولا يسمع أنَّه أخطأ، وهَذَا يرىٰ العصمةَ.
- ومنهم من إذا زَلَّ العالمُ عنده نَسَفَهُ.
- ومنهم من هو معتدلٌ، ما وافق الصَّوابَ قَبِلَهُ، وما أخطأَ فيه رَدَّ عليه، دُونَ أَنْ يَزْدَرِي حَقَّهُ، وهَذَا في العالم الَّذي أصوله أصول أهل السُّنَّةِ، وأمَّا من كان يوافق أهل البدع، ومع أهل البدع، فيلحق بأهل البدع؛ لأنَّه هو الَّذي ألحق نفسه مع البدع وأهل البدع.

فعندما يأتيك من يقول: «إخواننا الرَّافضة»؛ يعني: إخوانه هو، ما هم

بإخوانٍ لنا، أو أهل البدع يمجِّدُ فيهم ويصفهم بالفضائل، ويقدح في حَمَلَةِ الآثار النَّبَوِيَّةِ، ويقدح في أهل الحديث، وَيَنْبذهُم بالنَّقائص، هَذَا لا شَكَّ ليس أهلًا أن يجعل في مصافِّ أهل العلم، بل يُلْحَقُ بمن أَثْنَىٰ عليهم، وهو الَّذي أَلْحَقَ نفسه.

إذًا، الموقف أنَّ العَالِمَ السَّائِرَ علىٰ هَدْيِ السَّلَفِ ليس معصومًا، ربَّما يخطئ؛ لذلك فإنَّ أهل السُّنَّة في مواقفهم، خاصَّة العلماء، قد يختلفون ولكن لا يفترقون.

ولقد أدركنا علماء: الشَّيخ الألبانيَّ، شيخنا التِّويجريَّ، الشَّيخ ابن باز، الشَّيخ ابن عثيمين، الشَّيخ مُحَمَّد أمان، الشَّيخ مقبل الوادعيَّ، كوكبة -ولو اسْتَطْرَدْتُ إِحْصَاءً للأسماء، يَصْعُبُ ويطول المقام- بينهم خلاف في مسائل فقهيَّة، بينهم خلاف في مسائل وَقَعُوا فيها.

بل حَصَلَ رُدُودٌ عِلْمِيَّةٌ في هَذِهِ المسائل، وفي الأحكام، وفي الصَّلاة، حَصَلَتْ رُدُودٌ، أهلُ السُّنَّةِ قد يَخْتَلِفُون، ولكن لا يَفْتَرِقُون، لم نعلمْ أنَّه حَذَّرَ من فلانٍ، أو حَذَّرَ من فلانٍ، أو تلاميذ فلانٍ، أو طلَّاب فلانٍ، أو كُتُبِ فلانٍ، إنَّمَا يتكلَّمون ويبحثون وَيُبَيِّنون، وإذا تقابلوا، التَّقدير والاحترام والإكرام، رحمهم الله وبارك الله في الأحياء، ولا يزال هَذَا الأمر قائمًا، والحمد لله.

ولكن الذين يتأثَّرون بالأفكار، عندهم إحدىٰ النَّبْرَتَيْنِ، إذا وقع العالم

السُّنِّيُّ السَّلَفِيُّ في زَلَّةٍ عندهم نَسَفُوه، وهَذِهِ الفُرْقَةُ التي ذَكَرْتُهَا لكم بالأمس، وجانب آخر عندهم، كلُّ من كتب كتابًا في الإسلام هَذَا عَالِمٌ وَإِمَامٌ اسكتوا عنه، ولو كان فاسقًا ماجنًا حليقًا، لا يُعْرَفُ بِعِلْمٍ، ولا علماء، ولا دعوة، ولا أمر، إنَّما ما يعرف عنه إلَّا التَّكْفِيرَ والضَّلال، وهكذا أمثال مَنْ يُدَافِعُونَ عَنْ سَيِّدِ قُطْبٍ وكتاباته، وغيره.

العالم يُعْرَفُ أنَّه تَعَلَّمَ من العلماء، مَنْ علماؤه؟ ذهب إلىٰ أمريكا، عضوًا في الكنائس يتقلَّب بينها، فرجع لنا بعد أيَّام فإذا به إمامٌ من أئمَّة الدُّنيا، ما هذا؟

فلذلك ينبغي لِطَالِبِ العِلْمِ، أن يُمَيِّزَ، وأن يُدْرِكَ، وأن يَعْرِفَ علماء السُّنَّةِ، فَيُقَدِّرَ لهم قَدْرَهُم، وَيَعْرِفَ لهم فَضْلَهُم، وأن يَعْرِفَ أَهْلَ البِدَعِ وَأَهْلَ الكلام، فلا يُجَاوِزُون قَدْرَهُم، ولذلك قيل: مَنِ السُّنِّيِّ؟ قال: الَّذي إذا ذُكِرَ أَحَدٌ من أهل الأهواء لم يَغْضَبْ لذلك، لم يَغْضَبْ أنَّه ذُكِرَ، رَجُلٌ مُبْتَدِعٌ، لا يغضب له، لكن لو تكلَّم في عالم من علماء السُّنَّةِ لَغَضِبَ.

ولذلك ينبغي أن تَعْرِفُوا قَدْرَ أَهْلِ العِلْمِ وَمَنْزِلَتَهم، وأنَّ ما يَحْصُلُ بَيْنَهُم مِنْ خِلَافٍ في دائرة الاجتهاد، فهَذَا مَحَلُّ اجْتِهَادٍ، وأمَّا في مَحَلِّ النُّصوصِ، فكلٌّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ، وأمَّا مسائل الاعتقاد فلا قَبُولَ فيها للخِلَافِ.

هذا وبالله التَّوفيق، وصلَّىٰ اللهُ وسَلَّم علىٰ مُحَمَّد.

ونختم هذا المجلس، وبه نَختمُ هذه الدُّروسَ في مجالس العلم.

أسأل اللهَ تبارك وتعالىٰ أن يَنْفَعَنِي وإيَّاكم، بِمَا قُلْنَا وَمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا حُجَّةً لنا لا حُجَّةً عَلَيْنَا، وأن يَكْفِينَا وإيَّاكم شُرُورَ أَنْفُسِنَا، وسيِّئَاتِ أعمالنا.

ونسأل اللهَ أن يَرْزُقَنَا وإيَّاكم العِلْمَ النَّافِعَ والعَمَلَ الصَّالِحَ.

اللَّهمَّ إِنَّا نعوذ بك مِنْ عِلْمٍ لا ينفع، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَعَيْنٍ لا تَدْمَعُ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَلِسَانٍ لا يَذْكُرُ، وَدَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لها.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ مُحَمَّد، وبارك الله فيكم أجمعين.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

❁ مقدمة الناشر ٦

❁ ترجمة فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزان الهاجري..... ١٠

❁ مقدمة المؤلف..... ٢٣

مجالس في العلم

❁ المجلس الأول : فضل العلم ٢٨

⊂ فما هو العلم؟ ٢٩

⊂ عنايةُ طالب العلم في إخلاص النِّيَّةِ : ٣٢

⊂ العلم الشَّرعي طريقٌ للجنَّة : ٣٥

❁ المجلس الثاني: جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم ٤٤

❐ تصحيح العقيدة البداية السَّليمة لطالب العِلْمِ : ٤٤

❐ علاقة التَّقوى بطلب العلم : ٤٥

⊂ أمَّا عن الصفات التي ينبغِي أن يتحلَّى بها طالبُ العلم في طريقِهِ : ٤٦

⊂ الأُولَى : الصِّدق : ٤٦

⊂ الثَّانية : الأدبُ : ٤٨

⊂ الثَّالثة : الإنصَات : ٥٠

⊂ الرَّابعة : الفَهمُ : ٥١

- الخامسة : الحفظ : ٥١
- السادسة : الصَّبر : ٥١
- السابعة : العمل بالعلم : ٥٢
- الثامنة : ترك المعاصي والذُّنوب : ٥٣
- التاسعة : الرَّحلةُ فيه : ٥٣
- العاشرة : تركُ ما يشغل : ٥٤
- الحادية عشرة : أن يعتَنِي بمَا يُغنِيه عن أيدي النَّاس وأوساخِ النَّاسِ من الصَّدَقات : ٥٤
- الثَّانية عشرة : الكتابة : ٥٥
- الثالثة عشرة : الاستِمرارِ في العلمِ : ٥٥

❁ المجلس الثالث: مصادر وطرق تلقي العلم ٥٩

- من المصادر التي ينبغي لطالب العلم الحرص عليها : ٥٩
  - ❐ المُعلِّم الحاذق : ٥٩
  - ❐ الاهتمام بالكتاب المُتَمَيِّز : ٥٩
- وفي القراءة على الشُّيوخِ فوائدُ كثيرةٌ جدًّا : ٦٠
- أولاً : تَعلُّمُ الأدب في المجلسِ : ٦٠
- ثانيًا : أخْذ السَّمْت : ٦١
- ثالثًا : كثرة الفوائد : ٦١
- رابعًا : حلُّ الإشكالات : ٦٢
- خامسًا : الحصول على الجوابِ عن السُّؤالِ : ٦٣
- سادسًا : حضور الذِّهن ، واستشعار الهيبة والوقار : ٦٣
- سابعًا : عُلُوُّ السَّنَدِ : ٦٤
- ثامنًا : دعاءُ الملائكةِ : ٦٤

❐ بين مجالسة أهل العقيدة الصحيحة وأهل الشهوات والبدع: ٧٢
❁ المجلس الرابع: أنموذج للمتابعة والعناية بها ٨٢
⊂ «أقوال الأئمَّةِ في اتِّباعِ السُّنَّة، وتَرْك أقوالهم المخالِفَةِ لها: ٨٦
⊂ أولا: أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: ٨٧
⊂ ثانيًا: مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: ٨٨
⊂ ثالثًا: الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ٩٠
⊂ رابعًا: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ٩٣
⊂ هل الخلافُ توسعةٌ؟! ١٠٣
❁ المجلس الخامس: طالب العلم والكتب ١٢٤
⊂ مباحث أو كلمات في الكتاب: ١٢٦
⊂ أولاً: العنايةُ بكتبِ العقيدةِ: ١٢٦
⊂ الفائدة الحقيقية بين كتب الأوَّلين والمتأخِّرين: ١٢٩
⊂ القراءة كمًّا وكيفًا: ١٣١
⊂ أولاً: اختيار طبعات الكتاب: ١٣٤
⊂ ثانيًا: الكتابةُ والتَّعليق على الكتابِ، تَضْبط العلمَ: ١٣٤
⊂ ثالثًا: أن تجعل الكتاب حاضرًا في ذهنك: ١٤٠
⊂ رابعًا: إعارة الكتب: ١٤٢
⊂ خامسًا: بداية القراءة بداية الكتاب: ١٤٤
⊂ سادسًا- تحرِّي أوقات القراءة وما يناسبها من أنواع الكتب: ١٤٤
❐ أوقات غير مناسبة للقراءة: ١٤٤
❐ أنسب أوقات القراءة: ١٤٤

- سابعًا: حدِّد منهجك، وجدِّد قراءتك حتى لا تملّ، واعل بهمَّتك: ١٤٦
- شاهدٌ على الهمَّة في القراءة: ١٤٧
- سابعًا: أنواع القراءة والقرَّاء: ١٤٨

❁ المجلس السادس: بعض ما يشين طالب العلم ١٥٤

- المنقصات أو المزالق: ١٥٥
- أوَّلًا: قلَّةُ الإخلاص في العلم وطلبه: ١٥٥
- ثانيًا: عَدَمُ الحرص على المتابعة: ١٥٥
- ثالثًا: قلَّة الأدب: ١٥٧
- رابعًا: حبِّ الظُّهور: ١٥٧
- خامسًا: قلَّة العمل: ١٥٩
- سادسًا: الشُّعور بالكفاية في العلم: ١٦٠
- سابعًا: التَّسْوِيفُ: ١٦١
- ثامنًا: صُحْبَةُ البَطَّالين، وتَفْضِيلُ مجالس الأُنْسِ على مجالس العلم: ١٦٣
- تاسعًا: الفوضى في الوقت: ١٦٥
- عاشرًا: التَّقَطُّعُ في الطَّلب: ١٦٧
- حادي عشر: الإهمال وعدم المراجعة: ١٦٨
- ثاني عشر: الحسد: ١٧٠
- ثالث عشر: الكِبْرُ والغرور: ١٧١

❁ المجلس السابع: أخلاقيات طالب العلم مع من حوله ١٧٧

- ❐ فتنة المال وفتنة النِّساء: ١٧٧
- ❐ وبالنسبة للنِّساء: ١٧٨
- ❐ برُّ وطاعة الوالدين والإحسان إليهما: ١٧٩

❐ طالب العلم وزوجته وأولاده وأرحامه : ١٨١
❐ معاملة طالب العلم للمجتمع : ١٨٥
❐ طالب العلم وزملاؤه : ١٨٧
➲ مواطن الفتن : ١٩٠
❐ طالب العلم ووليُّ الأمر : ١٩١
❐ موقف طالب العلم من خلاف العلماء : ١٩٤
❁ فهرس الموضوعات ٢٠١